الشعر الإسلامى وإشكاليات التذوق الجمالى المعاصر
صورة شهداء الأقصى
نمـوذجاً

دكـــتورة

أماني محمد عبدالفتاح

مدرس الأدب والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالإسكندرية - جامعة الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد :

الأدب الإسلامي في مفهومه الصحيح هو ذلك الأدب الذي ينبع من معين التصور الإسلامي للكون والحياة فكراً ورؤية ومضموناً ، كما يتميز بالرقي الأدبي والإبداع الفني لغة وأسلوباً وخيالاً وهو في ذلك كله يجمع بين الأصالة والتراث وفي الوقت ذاته لا يتخلى أو ينفصل عن العالم وتياراته وثقافاته وحضاراته آخذاً منها ما يلا ئم فكره وتصوره وهويته ، والأديب الإسلامي الحق هو ذلك الذي لا ينسلخ من جلده فيخرج عن معتقده وهويته وهموم أمته وينساق وراء محاولات التغريب والتشويه والمسخ لهوية الأمة الإسلامية تحت مسمى المواكبة أو المعاصرة والحداثة، فالمعاصرة لا تعنى التقليد الأعمى، والتبرؤ من الهوية الإسلامية العربية، أو محو التراث و الإنحدار الي مبادئ بعيدة كل البعد عن الإسلام وأعراف المجتمعات العربية بل والفطرة السليمة . لقد نجح الأدب الإسلامي شعره ونثره في أن يقف راسخاً كا لطود الشامخ على ساحة الإبداع الأدبي ، مؤكداً حضوره وفاعليته ورقيه بل وعالميته وقدرته على النفاذ الى الآخر والتعبير بموضوعية عن فكره ورؤيته بلغة أدبية مبدعة محلقة .

وفي بحثي هذا أركز على الشعر الإسلامي ولاسيما في صورة من صوره الراقية وهى صورة الشهيد بصفة عامة وشهداء الأقصى بصفة خاصة ؛ إذ يتضح من خلالها عمق ذلك التناول ومدى ارتباطه بالمعاصرة وقضاياها وعدم انفصامه عن تراثه وأصالته . لقد وعى الشاعر المسلم المعاصر في تناوله لصورة الشهداء حقيقة ارتباط الأدب ببيئته وواقع أمته فعبر بحروف من نور عن هموم الأمة الإسلامية وواقعها الحقيقي ، فكان شعراء الأدب الإسلامي في تعبيرهم عن هذه الصورة وإن كانت في صورة رثاء للشهداء إلا أنه رثاء من نوع جديد على الرغم من كونه يقطر ألماً ولوعة وحسرة على تلك النفوس الزكية الطاهرة، اختلط فيه الهم الفردي بالهم الجماعي ، محاولاً بث روح البعث واليقظة في الأمة الإسلامية من سباتها العميق ، مؤكداً على

العزم على المضي ومواصلة الطريق حتى يتحقق الأمل المنشود مهما كانت العقبات ومهما عظمت التضحيات بكل غال ونفيس ولاسيما إن كانت تلك التضحية بالنفس الانسانية المسلمة المؤمنة بقضاء ربها الواثقة من نصره . لقد سيطرت التجربة الشعرية على وجدان الشعراء فتفاعلوا معها وامتزجوا بها، فعلت نبرة الصدق الفنى وبرزت صورة الوطن والحنين اليه ،كما عبرت عن أنين الغربة والإغتراب ، فكانت أبلغ تعبير عن مأساة الشعب الفلسطينى والضمير الانسانى ونكبة الأمة العربية والإسلامية ، كما رسمت أجمل وأبدع صور الشهيد ، البطل ، الرمز القائد ، ولم تنس صورة الأب الشهيد ، الطفل الشهيد ، المرأة الشهيدة . وبينت كيف ربَّتْ فلسطين أبنائها على العزم الذى لا يلين والثبات الذى لا ترهبه أعتى آلات الدمار والخراب ، كما جاءت معبرة عن معالم فلسطين التاريخية ، وتحدثت عن عمر القضية الفلسطينية والسلام الذبيح فجاءت تلك الأشعار في مضمونها متعددة الأصوات، متنوعة الأدوات والقضايا والمضامين فكانت بذلك معبرة عن قضايا وهموم الأمة الإسلامية المعاصرة، إذ لم تنغلق على نفسها، أو تهوم فى أودية الخيال، أو تغرق فى الذاتية، أو تنجرف إلى الغموض والشطط . كما جمعت فى شكلها ونظمها بين الأصالة والتراث وواكبت قضايا الأدب والنقد المعاصرة ؛ إذ وضح فيها طول النفس الشعرى وقدرتها على محاكاة القدامى وتمسكها بالشكل العمودى ، كما أحسنت توظيف تقنية القناع الذى يعد من إنجازات القصيدة المعاصرة ، فكانت فى تناولها لقضاياها والتعبير عن صورة الآخر معتمدة على التناص مع القرآن والتاريخ والواقع، فأحسنت استخدام الرموز فى مواقعها ، فواكبت بذلك المذاهب الأدبية وأخذت منها ما يوافقها :

فأخذت من الكلاسيكية المحافظة على الشكل الموروث والحكمة وتناولها للموضوعات ذات الفكر القيم والأسلوب الرصين ، كما أخذت من الرومانسية رقتها وعذوبة موسيقاها وقوة عاطفتها ومن الرمزية الصحيحة اعتمادها على الإيحاء والرمز دون الغموض والإبهام ، كما اتفقت مع الواقعية في أنها استمدت موضوعاتها من أرض الواقع ولكن مع عفة التناول وبراعة الصياغة . كما يحسب لها فى النهاية أنها

بينت مأزق رواد الحداثة والمعاصرة من كبار الشعراء أصحاب المناداة بالقوميات والهوية الفلسطينية، وكشفت عن هشاشة وهزال مواقفهم تجاه قضايا الأمة الإسلامية المصيرية ؛ خوفاً على مصالحهم ومكانتهم الأدبية ، كل ذلك فى أسلوب أدبى راقٍ أحسن التعبير بالصورة وجمع فى أسلوبه الشعرى بين تقنيات الأجناس الأدبية الأخرى كالقصة والرواية والرسالة ...، لاسيما فى صورتها التفعيلية، إذ جاءت فى ثوب قشيب لم يخل من الوزن الخليلى أو يهمل القافية . فأكدت الأشعار فى النهاية على الدور المنوط بالشاعر المسلم المخلص لدينه وأمته وهو المشاركة بنتاج موهبته الأدبية فى التعبير عن هموم الأمة وقضاياها لكى يصبح قلمه سلاحاً وفكره نوراً يهدى السالكين .

كما أكدت الأشعار على تصاعد المستوى التصويرى للقصائد حيث الإبداع والتفرد الذى قلما تزخر به القصائد ذات المستوى الفكرى. وهو بذلك أدان الأدب الساقط وبيَّن أن الإبداع الحق يخرج من معين الإسلام وذلك لا يعنى الانغلاق، ولا ينافى الحداثة والمعاصرة بمفهومها الصحيح .

والبحث على النحو الذى بينته فيما تقدم دراسة جادة وجديدة لسبر أغوار بحار شعر البطولة والشهادة فى العصر الحديث، وإبرازه بالصورة التى يستحقها لكى تتناسب مع عطائه وتضحياته وشموخه وكبريائه. وفيه أتناول ذلك الشعر تناولاً علمياً موضوعيا ؛ لتتضح للقارىء أهميته وعمقه وحدوده واتجهاته وآفاقه ...، وتُركز الدراسة على رواد الشعر الإسلامى، كما تُلقى الضوء على شعراء مبدعين واعدين على طريق الأدب الإسلامى، اجتهدوا فأحسنوا وأبدعوا، وصوروا بحروف من نور ملاحم البطولة والشهادة على طريق الوطن السليب في سفر الإنسانية المؤمنة .

وهو في الوقت ذاته وقفة متأنية مع ذلك الحشد الرائع من الإبداعات الشعرية، التي تلونت بأطياف الوطن وكتبت حكاياته بمداد التضحيات الغالي ؛ لتسجل في رحاب الإنسانية الفسيح بكل فخر واعتزاز ملامح الفداء والشهامة و البطولة المطرز بضياء الحق، الموشى بالدفاع عن العرض و الشرف، المحلى بعبق الإيمان بالله

والثقة في نصره للحق مهما طال الأمد بالجبروت والطغيان . والدراسة كذلك تشكل نظرة فاحصة ممعنة من أجل إظهار دور الأدب الهادف الواعي بهموم ومشكلات أمته وقضاياها، المدرك للمسؤولية الملقاة على عاتقه بغية تشكيل شباب الأمة وطبعهم بطابع التضحية والفداء في سبيل الله و الوطن، لأنهم يدافعون عن حقهم في نيل الحرية والكرامة، وأحقيتهم في دفع الظلم، ونبذ العدوان .

وسيلمس القاريء أن ما تطرحه هذه الدراسة من نصوص شعرية ستأخذه إلى لون أدبي جديد وعالم زاخر بالتضحية، فهو أدب جديد واعد يقف راسخا وسط العواصف، صامدا في مواجهة الأعاصير، لا يتأثر ولا ينهار ولا يسقط في أوحال التدني والتبعية والصمت المرير، بل هو يجأر ويزأر ويهدر بعنف، يتغنى ويمجد ربوع البطولة وبساتين العزة، يوقظ الغافلين المغيبين ويحاول بعث الموتى، وينصر المقهورين المظلومين . إنه أدب جديد يعلو أصحابه ويرتقون، فإن فرداً ذا همة يُحي أمة ! وإنما يتفاوت الناس ويتفاضلون بما يعيشون له من أهداف، فيصغرون أويكبرون ويعلون أويهبطون حسب هذه الأهداف .

تلك هي معالم ذلك الأدب وملامح مبدعيه، وتلك هي جادة الطريق وهؤلاء كانوا ومازالوا هم السالكين.

وقد انطلقت هذه الدراسة من منطلق منهجين من مناهج البحث الأدبي هما:

أولاً: المنهج الاستقرائي ومن خلاله يتم تجميع كل ما يتعلق بصورة شهداء الأقصى فى الشعرالمعاصر، من خلال التركيز على مجلة الأدب الإسلامى ، وموقع المركز الفلسطينى للإعلام عبر الشبكة العنكبوتية إلى جانب بعض الدواوين والمواقع العنكبوتية الأخرى وذلك بانتقاء واختيار قصائد لمشهورين ومغمورين تبرز صورة شهداء الأقصى وإشكاليات البحث.

ثانياً: المنهج التحليلى النقدىوفيه يتم غربلة تلك المادة العلمية الغزيرة، وتصنيفها وتبويبها وتحليلها ونقدها نقدا تحليلياً مستفيضاً، و عن طريق هذا المنهج يواجه العمل

الأدبي بالقواعد والأصول الفنية، والنظر إلى قيمها الشعورية والتعبيرية ومدى إنطباقها عليه.

إلى جانب عرض تلك النصوص على المنهج التاريخى والنفسى إذا استدعى الأمر ذلك، حيث يتخذ من حوادث التاريخ السياسى والاجتماعى وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخواصه إلى جانب محاولة تفسير تلك الأشعار على أساس نفسى وذلك لأن الأدب ترجمات العقل والنفس، والأدباء فى أعمالهم يستوحون ويستلهمون تجاربهم العقلية والنفسية، ولهذا فالأدب مرآة عقل الأديب ونفسه .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الموضوع لم يدرس على الصورة التي أقدمه بها ؛ إذ لايوجد مؤلَّف أو ديوان واحد ضم كل تلك الأشعار، فيما عدا مجموعات قليلة أبرزها: (ديوان الشهيد محمد الدرة، إعداد عدنان بلبل الجابر و ماجد الحكواتي، ومراجعة عبد العزيز محمد جمعة) ولم تصحبه دراسة تحليلية، إلى جانب أن المقالات التى كتبت بعد ذلك ولا سيما بعد حادثة استشهاد الشيخ أحمد ياسين ومن بعده القيادى البارز عبد العزيز الرنتيسى على الرغم من رقيها الأسلوبى وصدقها العاطفى إلا أنها فى مجملها لم تخرج عن إطار تناول صورة الشهيد الرمز البطل فحسب وهذا ما عالجته من جوانب متعددة فى دراستى هذه.

وإلى جانب ما سبق ستعول هذه الدراسة على معظم ما يتعلق بالأدب الإسلامي ونقده من مراجع من أجل استكمال جوانب البحث التحليلية النقدية.

هذا وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وعشرة مباحث وخاتمة.

أما التمهيد فهو ما أسلفت تسطيره فيما تقدم من تعريف بالموضوع وبيان أهميته وغاياته وجدته في بابه.

المبحث الأول : رثاء شهداء الأقصى مضامينه وتداعياته.

المبحث الثاني : الوطن وتجليات الزمان والمكان.

المبحث الثالث : بعث الهمم وشحذ العزائم.

المبحث الرابع : القضية الفلسطينية.

المبحث الخامس : السلام الذبيح.

المبحث السادس : بطولة الطفولة.

المبحث السابع : صور من معاناة المرأة الفلسطينية.

المبحث الثامن : التناص والرمز واستيحاء التراث.

المبحث التاسع : الأشكال الفنية والتعبير بالصورة.

المبحث العاشر : مأزق شعراء الحداثة.

الخاتمة ونتائج الدراسة وتوصياتها.

الهوامش والمراجع.

المبحث الأول
رثاء شهداء الأقصى
مضامينه وتداعياته

لاريب في أن تناول تضحيات الشهداء والإشادة بمواقفهم وبطولاتهم تدخل تحت فن الرثاء، وهو من أشهر فنون الشعر العربي الذي أفاض فيه العربي فأجاد وأبدع وذلك لما له من خاصية التعبير عن لواعج النفس وتباريحها مع الاستغراق في الشجن الذي تميل إليه النفس الإنسانية غالبا وتجنح إليه.

والرثاء لغة هو من : رثى له : بمعنى رق له.

فالرثاء هو تعداد مناقب الميت ونظم الشعر فيه.[i]

واصطلاحا ذكر الجاحظ (٢٥٥ هـ) الرثاء بمعناه العام : أي "فن الرثاء" والخاص : أي بكاء الميت وإحصاء محامده، وفرق قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) بين المرثية والمدحة بأن المرثية يذكر في لفظها ما يدل على أنها لهالك مثل "قضى نحبه" وما أشبه ذلك. وتبعه في ذلك ابن رشيق (٤٦٥هـ) وأضاف : وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً.[ii]

وكما هو معروف أن الرثاء في الشعر العربي يأخذ ألوانا ثلاثة هى :

(١) الندب : وهو بكاء الأهل والأقارب إذا عصف بهم الموت.

(٢) التأبين : وهو ثناء على الميت وتعديد فضائله.

(٣) العزاء : وهو مرتبة عقلية فوق التأبين، ينفذ فيها الشاعر من حادثة الموت الفردية إلى التفكير في حقيقة الموت، ينتهي به التفكير إلى معان فلسفة عميقة.[iii]

والألوان الثلاثة السابقة نجدها في أشعار رثاء الشهداء ، سواء كانوا رجالاً أو نساءً أو أطفالاً، أبطالاً عسكريين أو شخصيات سياسية أو دينية بارزة.

فقد يكون الرثاء على لسان الآباء والمحبين وقد يكون من الأصدقاء المقربين أو المعجبين. فيتراوح في الأعم الأغلب بين التأبين والعزاء كما قد يختلط بأغراض عدة

مثل الحماسة ، بعث الهمم وشحذ العزائم ، الأمل في الغد وأن نصرالله قريب، الفخر، الشكوى والألم، الحنين إلى الوطن، الوصف، التأمل.

وهذا ما سأعرض له تفصيلا في هذا البحث إن شاء الله تعالى حيث سنجد أن رثاء الشهداء على لسان شعراء الأدب الإسلامي لم يعد ذلك الرثاء بأنواعه الثلاثة المذكورة آنفا ولكنه امتزج بمعان وخواطر عديدة إلى جانب أنه يدور في فلك الرؤية الإسلامية كما سنجد فيه التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف وتراث الأمة الإسلامية التاريخي والإسلامي وذلك ما سأعرض له لاحقا. وتجدر الإشارة إلى أن قصائد رثاء شهداء الأقصى لا يمكن تجزئتها من حيث معانيها إلى جزئيات منفصلة ؛ إذ هي رثاء من نوع جديد اختلط فيه الألم بالأمل، و اللوعة بالثبات والعزم على المضى. وسأركز على مقاطع أو لقطات من قصائد مختلفة تبين تعدد الموضوعات في قالب الرثاء .

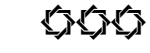

المبحث الثاني

الوطن وتجليات الزمان والمكان

لم يعد الوطن فى الشعر الإسلامى المسؤول ، لحظة عابرة تُقال فى كلمة وقت تذكره ، حينماً يبتعد الإنسان عنه، ولم يعد فندقا أو تشكيلاً ذهنياً متخيلاً فى ثوب صناعى فقط كما فى رأى نزار قبانى حينما قال فى قصيدته المشهورة ضوء المنفى :

ليس ضرورياً أن نعيش فى فندق الوطن
حتى نكتب عنه شعراً جميلاً ..

الوطن هو تشكيل ذهنى . ولم يعد كذلك علاقة عشق آثمة عابرة مشبوهة آنية تحدث فى الخفاء كما يعتقد نزار حين قال :

وعلاقة عشق سرية
يمكن أن تحدث...
فى أى فندق فى العالم !!

ولم يعد البقاء بالوطن والفناء فيه كارثة على الشعر كما ظن نزارحين قال :

الالتصاق الطويل بالوطن
كالالتصاق الطويل بالمرأة
هو كارثة للشعر !!

ولم يكن للوطن بديلاً يعدله عند الشاعر الإسلامى الملتزم على العكس من نزار قبانى فى قصيدته السابقة حين قال:

المنفى فى كحل عينيك السوداوين
هو التعويض العادل
لتأسيس وطن بديل[iv] .

أما الوطن فى الشعر الإسلامى فإن الشاعر لا يخجل ولا يهرب منه بل هو منظومة متكاملة لاينفرط عقدها ولا يتغير شكلها أو مكانها في القلوب كما يقول محمد شلال الحناحنة :

أصافح هذا الوطن
أحبك فى السر
أو فى العلن[v] .

الوطن موجود في ذاكرة الشاعر ووجدانه يملك عليه مشاعره وكيانه ، هو مكان عزيز مقدس ، هو الإخضرار والنماء والربيع الموشى بالألوان ، هو زمن الطهر والنقاء الروحى المقتبس من عبق القرآن وقدسية المكان. ولذلك نرى الدكتور سعد دعبيس يقول :

وطنى ... قد وجدته ... هل رأيتم نهر ضوء مُجَنّع الشطآن
ذاك قدسى .. ذاك الزمان إخضراراً وربيعاً ... مموسق الألوان
وطنى ... حيث سورة الإسراء فابحثوا فى معاجم القرآن[vi]

لم يعد الوطن فى الشعر الإسلامى الملتزم كلمة نتذكرها فقط حينما نبتعد أو نرتحل عنه بل أصبح بنية النص وركيزته ، نبض الشاعر وهويته ، آماله وآلامه وأحلامه، بكل ما فيه من جراحات وصراعات ، هو شوقه وحنينه ولذلك نرى الشاعر عبدالرازق أبو مصطفى يقول :

الريح من كل الجهات
تميل بالنخل العتيد
وتميل بالزيتون واللوز العنيد
لكنها لا تخلع الوطن المطرز
فى هتافات القلوب
فلينظروا فينا ملياً
ولينسفوا كل البيوت
فالأرض قاطبة لنا وطن
إنا عشقنا الانتظار
كما عشقنا تربة الوطن
المفدى بالدماء ....

فهواك يا وطنى تحن
له أساطير الغرام
لتعلم الأجيال كيف
تعذب الأوطان بين
حبائل العشق المقدس !! والحمام[vii]

الوطن هو ذلك المكان والزمان المقدس المفعَم بعبق الإيمان ، الموشى بنور النبوة ، وبجلالها ولذلك التقديس للمكان والزمان يقول شاعرنا الكبير عدنان النحوىّ :

والمسجد الأقصى على ساحاته ولد الزمان فعزّ بالميلاد
جُمعت بساحته النبوة والتقت بالغيب فيه معالم الأشهاد
ألقت لأحمد بالإمامة فارتقى سبعا بومضة بارق صَعّاد
فإذا رُباك جميعها مجلوة بالنور فى عُرسٍ وفى أعياد
أهديت للإسلام ملكاً خالصاً يلقاك فى بشرٍ وفى إسعاد
من ذا ينازعه ومَهرُكِ فى الورى غالٍ ودونك حومة الآساد
تسعى إليك على الزمان كتائب نفحت على عطفيك عطر جهاد
فجنود أحمد أرعدت عطّافةً تختال بين طوارف وتلاد[viii]

الوطن هو القدس هو أرض النبوات والملاحم والبطولات ، هو ساحات للمؤمنين ، ولأمة موصولة لم تجهل ، ولكتائب مرصوصة لا تنثنى.

الوطن هو فلسطين أرض التين والزيتون ، موطن الشهداء ، صوت حطين ، مهد البطولات ، هو الهوية التى لا تُسلب وإن قطعت الشرايين ، واسمع الشاعر وهو يغنى معتزاً بانتمائه ونسبه لفلسطين قائلاً :

فلسطيني
وألمح فوق هام النصر
تمكينى
وفى قلبى نداء الحق والدينِ

فلسطيني
وأرضي موطن الشهداء
والأنداء
والزيتون والتين
ولى فى نبض خارطتى رؤى من
صوت حطين
فلسطيني
أترجم قصة التاريخ دامية
مضمخة بآهات
ومن مهد البطولات
ومن حولى .. سطور من كتاب
العز مروية
وبالأمجاد علوية
فلسطيني
وإن سلبوا وإن ضربوا
وإن قطعوا شرايينى[ix]

المبحث الثالث

بعث الهمم وشحذ العزائم

لم تقف رؤى الشعراء في تصويرهم عند السخرية وتصوير العجز والبكاء والأنين والشكوى ولكنها جاءت باعثة للهمم، شاحذة للعزائم، داعية إلى وحدة الصف حتى يتحقق النصر، فنجد الشاعر "أحمد محمد الصديق" في إحدى مقطعاته الشعرية الموسومة "بأحلام الشهيد" يعبرعن رغبة الشهيد في أن يكون استشهاده دافعا للأمة، ومبعثاً لرص الصفوف حتى لا يضيع دمه هباء فيقول:

وقفتم حِدادا على روحه وماكان يغنيه هذا الوقوف
ولكنه يشتهى عودة إلى الله حقا ترص الصفوف
وتبعث أمة للجهاد فتزحف للنصر منها الزحوف
أجل تلك أحلامه الغاليات تعهدها في ظلال السيوف
ميراثه أبدا شاهده على صدقه في عراك الحتوف
قناديله من عيون الجراح تشعُ ..وتمحو الظلام المخوف
على نهجه فانهضوا موقنين وفيين بالعهد ..شُمَّ الأنوف[x]

وفي مناجاة شعرية يوجه الشاعر "محسن عبد المعطى" رسالة لبلد الطافرين وأهلها قائلاً :

عرفنا الطريق
سنمضى إليك بعزم الأسود
لنُرجع يا أم مجد الجدود
ونصلح ماقد تهدم
نرفع صوت الآذان الحبيب[xi]

ويبشر ويعلن الشاعر عبد الفتاح الطاهر عن سوء عاقبة الباغى فيقول :

ما أسوأ عاقبة الباغي سيذوق المر من الكأس
من بعد غرور كذاب يلقى منا أقسى درس
وتعود القدس لأمتنا ويكون لقانا في عرس
عرس للنصر يصافحنا وسيشرق دوما كالشمس
ومواكب أفراح كبرى وعدوك في خزى يُمسى[xii]

أما العشماوي فيخبرنا عن معدن ذلك الشعب الأصيل الصامد الأبي قائلاً :

شعبُ فلسطين العزيزةُ أنبتت فيه الإباء فلم يُصبه هوانُ
شعبٌ إذا ذكر الفداء بدا لـه عزم ورأى ثاقب وسنـانُ
شعب إذا اشتدت عليه مصيبـةٌ فالخاسران اليـأسُ والخذلانُ
ياقدسُ صبراً فانتصارك قـادمٌ واللصُ يا بلد الفداء جبانُ
حجرُ الصغيرِ رسالـةٌ نقلت على ثغر الشموخ فأصغت الأكوان
يا قدسُ، وانبثق الضياء وغردت أطيارها وتأنـق البستان
يا قدسُ، والتفتت إليَّ وأقسمتُ وبربنا لا تحنثُ الأيمـانُ
واللهِ لن يجتازَ بي بـحر الأسى إلا قلوبٌ زادها القرآنُ[xiii]

ويقول آخر :

مامت يا ولدي فأنت مخـلد وبكل سـيف قاتل تتجمل
فالنصر يُزهر بالصمود ويرتوى ودم البراءة بالـتوحد يُغسِل
كل الحروف تفر من كلماتنا وعلى الموائد لا يطيب المأكل
إنا إذا ملأوا الدروب حواجزاً أضحى لنا بالله حبلٌ مُوصِل
رباه ليس لنا نصير صـادقٌ إلاك أنت الناصر المتفضل[xiv]

ويطرق العشماوي باب استنهاض الهمم وبعث عزم رجال الأمة من جديد موجهاً عدة نداءات تهز الكيان وتؤثر في الوجدان والعقول بأسلوب تصويري مبدع مؤكداً على أن باب النصر لا يفتح إلا بالجهاد قائلاً:

أين أنتم يا أباة الضيم
يا أهل النضال
أين أنتم يا رجال
مقلة الإسراء ترنو
ويد المعراج تمتد وتدنو
وفم الأمجاد يدعوكم بأصوات الأوائل
أكسروا هذه السلاسل
أكسروها أيها الأبطال عن أيد تناضل
أكسروها
قيدوا الأيدى التي ترمى
على القدس القنابل
أكسروها
واجعلوها في أيادى
من يهزون المعاول
يعلنون الحرب في وجه اليتامى
والأرامل
ويهدون على الأطفال جدران المنازل !!

وفي صيحة أخرى يطلقها الشاعر الدكتور "محمد بدر" محاولاً ايقاظ المسلمين من سباتهم وبعث همتهم وشحذ عزيمتهم فيضرب لهم الأمثال بهدى القرآن والرسول الكريم ويحثهم ويدعوهم إلى ترك التواني الذي ينبذه ويرفضه ديننا العظيم، يقول :

أخي في الهدى أيها المسلم ومن دينه المصحف المحكم
تيقظ فحولك كل الدنا تيقظ في ساحها النوم
وشق طريقك نحو الهدى فإن طريقك الأقوم
ودع هذا التوانى الذي يحاربه ديننا القيم
وكن صورة حية للجهاد تنافح من للحمى يهضم

وكن ضيغم الحق يحمى العرين فمن غيركم يا أخى ضيغم ؟!
وكن مدفعاً يمحق الغاصبين يكلل بالنصر لا يـهزم
أخى لا تقل إن جمعي قليل فكم من قليل له المغـنم
فآباؤك الغُر سادوا بجمع قليل بعين الورى يعظم
وقائدك المصطفى قدوة وفي هدية المنهج الأقـوم
لقد جاهد الكفر لاينثنى وسار إلى النصر لا يجـحم
فـهلا اقتفيت أخى نهجه ففيه المنى مشرقا يبـسم[xv]

أما الشاعر محمد التهامي فيلخص قصة البطولة والصمود في الشهيد الذي يكون دائماً دافعاً وحافزاً للاستمرار في الكفاح والجهاد، فدماؤه الطاهرة التى تـخضب الأرض تطهرها وتوضئها وكأنها في حالة صلاة لرب العالمين، فتصبح هذه الدماء طهارة للأرض، وشرارة للشعب تزيد من ثورته وحميته فلا يقدر على رده أو ردعه أحد، إلى أن يدق أعناق المعتدين، فالشاعر يؤكد على صدق العزائم والهمم وصون الحق والدفاع عنه والتضحية من أجله كما يؤكد على النصر الذي سيأتي لا محالة و بذلك يرفع الشاعر حماسة المسلمين ويلهب مشاعرهم ويقوى عزيمتهم واسمعه يقول :

إن كنت في وهج الطفولة توأد فلقد بدأت مسيرة لا تنفدُ
ظنوا بقلبك أن عمرك قد مضى فإذا بعمرك يوم موتك يولد
خضبت دماؤك أرضنا فتطهرت وتوضأت ومضت لربك تسجد
هذى الدماء شرارة محمومة لا شيء يردعها ولا تتردد
تكوى جموع المعتدين تردهم وتظل في أعقابهم تتوقد
حتى يدوس الحق فوق رقابهم فتضيق أنفاس البغاة فتخمد
كذبوا طويلاً واستساغوا كذبهم قد صدقوه لطول ما يتردد
وغدا ستجتاح الحقيقة زعمهم يا ويلهم مما يجئ به الغد
فهم الذين قد اعتدوا وتجاوزوا ومشوا على أرض الأُباة وعربدوا
واستمرأوا العدوان ظنا منهم أن الظلوم ببطشه يتسيد

جهلوا حقيقة أننا في أرضنا مهما تمادى الظلم لا نستعبد
سنظل نحرس حقنا ونصونه ولكل بارقة له نتصيد
إيماننا بالحق كل حياتنا فحياتنا وحقوقنا تتوحد
نحيا وفي يدنا الحقوق مصونة ونموت وهي بكفنا لا تُفقد[xvi]

وفي لوحة أخرى يعرض الشاعر نفسه لتلك الحقيقة التي يجب أن يتمسك بها المسلم وهى التغلب على حب الدنيا، والاستشهاد في سبيل الحق حتى يستطيع استرجاع عز الماضى، فلا معنى للحياة مع الجبن والضعف والاستكانة وأن الباطل مهما تعاظم فلا يستطيع تغيير حقيقة الأشياء، ويبشر في النهاية بعودة الماضى التليد لأن الأيام دول، فيقول :

نعيش....نغلب ديننا ونحتفل نشدُّ عِزة ماضينا فتتصلُ
نقيم للموت عُرسا في مرابعنا ومن دمنا على أجسادنا حللُ
يجرى على دمنا من فجرنا وهج مهما تدور به الأيام يشتعل
ليشدُّ هامتنا شمّاء راسخة مهما انحنت حولها الهامات تعتدل
في كفها الحقُ لا تهتزُ رايتُهُ و لا تميل ولو قد زحزح الجبلُ
يعلم الجيلَ بعد الجيلِ حكمته بئس الحياةُ إذا ما استنوقَ الجملُ
فالحقُ مهما تمادى ظلمه أسدٌ والظلم مهما تنامى ظُفرهُ حملُ
غدا تعيدُ لنا الأيامُ سيرتها فإنما الدهرُ في أيامه دُوَلُ[xvii]

وفي لوحة تصويرية أخرى مستمدة من الطبيعة يؤمن الشاعر الإسلامي بقدرة الانسان المسلم الذي يتمسك بكتاب الله وهديه على أن يقوم من عثرته ويسترجع قدرته على تحقيق الأنصارات قائلاً :

في سبيل الله أمضى
وعلى هدى كتاب الله قد
أحكمت نبضى

أرتدى الفجر وأمضى في سبيلى
فإذا الشمس دليلى
وإذا الأنجم في قلبي وأعراس النخيل
***
خارجاً من محنة الليل
ومن صمت القبور من نفايا العصور
نهشت أظفارهم وجهي وألقوا الشوك
في دربى
وفي جنبي عضات الحصير
ممسكا حفنة قمح رغم عصف
الريح والأنواء
والجرح الخطير
وسطوراً من رحيق الذكر
أتلوها فيستيقظ سيفُ المجد
أتلوها فيصحو الوردُ
أتلوها فتجرى للنيابيع طيورى
***
قد تقولون بأن السيف في كفى أقالته
المعارك...وبأن الليل حالك...
وبأني لم أعد أتقن شد القوس..تسديد النبال
والفتوحات التي أدمنها العشاق...ضرب من خيال
قد تقولون محال..
أن يعود الركب إسلاما، وأن تجري مع الركب الغلال...
قد تقولون ولكنى أقول
إن في الدرب الخيول

وعلى وقع التلاوات ستخضر الفصول
ولنا اليوم الجميل
ولنا التكبيرة الأولى لنا الآفاق والرايات والصوت البديل
ولنا السيف الذي خبأه البرق إلى اليوم
الثقيل
ولنا الشجر الأخضر والدوح تمرح فيه الطير والظل
الظليل
ولنا قارورة العطر
التى تسكبها الشمس على كف الأصيل[xviii]

وهكذا تبدو فلسطين الأبية فى عيون الشعراء وتظل أرضاً للشرف والعزة والكرامة يقول الشاعر :

فلسطين أرض الفدا والصمود ومهد الرباط و مثوى الخلودْ
ومنك الطهارة قد أشرقت وفيك ظلامُ العدى لا يسود
سماؤك بالحق قد زُينت وأرضك بالعدل دوما تجود
حصاكِ تخسفُ على غاصب وصدق العزيمة تُفنى القيود[xix]

وإذا كانت دماء الشرفاء الأبرياء رخيصة في عيون الأعداء، فإنها لا تقدر بثمن في عيوننا، ولذلك لن تهون دماء المسلمين، ومهما سالت وروت الأرض، فالصمود والتحدى والجهاد، وسيخرج المارد وينتفض الفارس ويخرج ألف طارق وألف خالد، ولنشهد ونسمع ونقرأ لغة التحدى البارزة على لسان الشاعر محمد سليمان قائلاً:

أعداءنا
لا لن تهون دماؤنا
لا لن تهون

يا أيها المتجبرون
يا أيها المتغطرسون
يا مجرمون
قسما بربي لن تهون
قسما بربي لن تهون ..!

***

مهما ولغتم في دماء المسلمين
الأبرياء
مهما ذبحتم من شباب أو شيوخ
أو صغار أو نساء
مهما أحلتم أرضنا
قبراً جماعياً
وسجناً وحصاراً
ونشرتم فيها الدمارا
ورسمتم فيها التعاسة والشقاء ..
كيما تهون دماؤنا
أبدا وربي لن تهون ..!

***

فدماؤنا خير الدماء
ودماؤنا تهوى الإباء
ودماؤنا
يا أيها الأنجاس
غالية
كأغلى مايكون
ومذاقها

مر أليم
وقصاصها
صعب رهيب

***

مهلاً إذا
ما مارد الإسلام حطم قيده
ومضى فأيقظ أهله وشبابه
ومضى..
فحكَّم شرعه وكتابه
ومضى..
فاسرج للجهاد
خيوله وجياده
ومضى..
فسار إليكم
كالسيل، كالبركان، كالطوفان
كالموج الشديد...
وكتائب الإيمان تزحف خلفه
والفجر والتاريخ والجنات
والفتح الوليد...!

***

مهلا إذا ما صاح
"حي على الجهاد"
فهنا :
تكون الزلزلة..
وهنا :

تموت المهزلة..
وهنا يكون أتى المخاض
وهنا يكون أتى المخاض!!
وهنا ستنقم المجازر والمذابح
وستنبت الأرض الفوارس
وهنا :
سترتفع المآذن والمساجد..
وهنا سيخرج ألف طارق
منها سيخرج ألف خالد!
منها سيأتي المعتصم
ووراءه الجيش الخضم
ويقول :
يا خيل اركبي
يا أيها "المليار" قم
قم وانتفض
قم وانتفض
ولترتفع فوق الألم !
يا أيها "الميار" قم
قم وانتفض
قم وانتفض
ولتنتقم..
للمسلمات، الباكيات، ولليتامى والأرامل
لدم الشهيد
وللجريح
وللصغار وللسنابل !![xx]

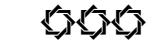

المبحث الرابع
القضية الفلسطينية

وإذا كانت قصائد الشهداء تنزف جراحاً وتئن ألماً وتبكي لوعة في تصويرها للشهداء إلا أنها لا تنسى عمر القضية الفلسطينية الذي تجاوز نصف قرن من الزمان، ساخرة من الخنوع العربي طوال ذلك الزمن، وقد أبدع الشاعر فاروق جويدة في تصويره لهذه القضية قائلاً :

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء
لاشيء غير النجمة السوداء
ترتع في السماء
لاشيء غير مواكب القتلى
وأنات النساء
لا شيء غير سيوف داحس التي
غرست سهام الموت في الغبراء

ماذا تبقى من بلاد الأنبياء
خمسون عاماً
والحناجر تملأ الدنيا ضجيجاً
ثم نبتلع الهواء

خمسون عاماً
والزمان يدور في سأم بنا
فإذا تعثرت الخطى
عدنا نهرول كالقطيع إلى الوراء
خمسون عاماً

نشرب الأنخاب من زمن الهزائم
نغرق الدنيا دموعاً بالتعازي والرثاء
حتى السماء الآن تغلق بابها
سئمت دعاء العاجزين وهل تُرى
يُجدى مع السفه الدعاء ؟!! .

ويواصل الشاعر حديثه في القصيدة في ذكرى اغتصاب فلسطين، عن المجد العربي الغائب عن عيون أبنائه حيث لا يرون إلا العجز والهوان والدعة والشتات ، فما كان إلا ضياع الأرض والعرض، والخروج من التاريخ، فأصبحت الأمة بلا هوية، وما كان من الشعوب إلا احتراف الموت والذوبان عشقاً في الفناء. ولا يبقى بين الحين والآخر إلا انتفاضات مترنحة بين اليأس والإعياء ولا نراهم إلا في حانات التطبيع يتسللون يتسولون يترنحون يقول :

يتسللون على دروب العار
ينكفؤن في صخب المزاد
ويرفعون الراية البيضاء[xxi]

أما الشاعرة عواطف الجحيلى فتطلق صرختها في زمن الصمت معلنة عن موقفها بالتمسك بقول الحق والإعلان عنه من خلال شعرها قائلة :

يا أمتى عذرا فإن رجالنا لبسوا الحرير وبالحلى تطوقوا
أأقول صبراً؟؟كم أصبِّر أمتى والظلم يعبث بالنفوس ويزهق
ماذا جرى حتى نبيع بلادنا والقدس تبكى والدما تتدفق
والمسجد الأقصى يباع ضلالة بوثيقة فيها نذل ونُطرق
ومساجد كان الآذان شعارها واليوم يقسمها السلام الأحمق
أواه يا قدسى الجريحة إنني بلظى الوثيقة والعهود سأحرق
أتضيع كل جهودنا بوثيقة وقرار من تبعوا اليهود ولفقوا؟!
يا من تعاتبني وما ترضى الذي نطق الفؤاد وما يعد وينطق

هل صادر الأعداء كل مبادئى؟! كلا فقلبي بالمبادئ يخفق
ما كنت أملك غير فيض قصائدى ولسان شعرى بالحقائق يصدق
إن أسكت الدولار غيري صاغراً فقصائدى ومبادئي لا تخنق[xxii]

ويقارن الشاعر عدنان النحوي بين الأمس واليوم الذي تحولت فيه الأيام والنفوس من النقيض إلى النقيض من خلال رسالة على لسان المسجد الأقصى يوجهها للمسلمين يلومهم على تقصيرهم في حقه وحق فلسطين. من خلال شعارات زائفة باسم التحرير وتقرير المصير، وتمر ذكرى اغتصاب الأقصى وضياع فلسطين تلو الذكرى ولا يجد منهم غير خشوع المذلة وخنوع المسكنة. فيقول :

أنا المسجد الأقصى ! وهذى المرابع بقايا وذكرى ! والأسى والفواجع
لقد كنت بين المؤمنين وديعة على الدهر ما هبوا إلي وسارعوا
يضمون أحناء عليَّ وأعينا وتحرسني منهم سيوف قواطع
فما بال قومي اليوم غابوا وغُيبوا وما عاد في الآفاق منهم طلائع
ونادى منادٍ حسبنا كسِرةٌ هنا ونادى سواه نرتجى ونصانع
وفي كل يوم، ويح نفسى، مسارح تُدار وأهواء عليها تنازع
تُدار خيوط المكر خلف ستارها وتعلن آمال عليها لوامع
ويطوي على هون أساى وذلتي شعار يدوى أو أمان روائع
تمزق أوصالي وتنزع مهجتي ويطلب نصر والديار خواضع
يقولون "تحرير" ويُجرون صفقة عليها شهود ضامنون وبائع
يقولون "تقرير المصير" وإنه لتدمير آمال : فمعطٍ ومانعُ
يفاوض فيه الشاةَ ذئبُ وثعلبُ وقد مهدت عبر السنين الوقائع
يقولون أهل الدار أدرى بحالها وأين هم ؟! إني إلى الله ضارع
فيا أيها الأقصى أنينك موجع تهيج به بين الضلوع الفواجع
حنينك أصداء العصور ولهفةٌ فصبرا وما يدريك ما الله صانع
فلسطين حقُ المسلمين جميعهم وهذا كتاب الله بالحق ساطع[xxiii]

لقد تبارى شعراء الأدب الإسلامي في تصويرهم البارع لحال الأمة الإسلامية التي رضيت بالقول بدلاً من الفعل. وقنعت بالذلة بدلاً من العزة. وأصبحت كالمطية المستأنسة التي تستكين لصاحبها – لعدوها – فيلجمها ويسرجها متى شاء ، ويلوى عنقها ويوقف مسيرتها متى أراد.

إن صرخات الشعراء في أشعارهم لا تعنى أننا أمة أدمنت الجراح، واستهوت الدموع والأحزان، فالشاعر أو الأديب لا يملك إلا الكلمة. والكلمة أمانة ومسؤولية. وعلى الأديب أن يؤدى الأمانة نحو أمته فيوجه وينصح ويحذر ويبصر ويحفذ الهمم ويشحذ العزائم، ولكنه في النهاية انسان لا يستطيع أن يخفى أحزانه وأوجاعه أو يكتم دموعه وآلامه. واسمع العشماوي في شعره الباكى الحزين محذراً قائلاً :

يامسلمون، إلى متى يبقى لكم رجع الصدى، وحُثالةُ الأكواب
يا مسلمون، أما لديكم همة تجتاز بالإيمان كل حجاب
أنا ثالث البيتين هل أدركتمو أبعادا سرّ تواصل الأقطاب
إني رأيت عيونَ من ضحكوا لكم وأنا الخبير بها، عيون ذئاب
هم صافحوكم والدماءُ خضابهم واحرّ قلبي من أعز خضاب
هذى دماء مناضل، ومنافح عن عرضه، ومقاوم وثاب
ودماءُ شيخ كان يحمل مصحفاً يتلو خواتم سورة الأحزاب
ودماءُ طفل كان يسألُ أمهُ عن سر قتل أبيه عند الباب
إني لا أخشى أن تروا في كف من صافحتموه، سنابل الإخصاب
هم قدموا حطباً لموقد ناركم وتظاهروا بعداوة الحطاب
عجبا أيرعى للسلام عهوده من كان معتاداً على الإرهاب؟!
من مسجد الإسراء أدعوكم إلي سفر الزمان ودفتر الأحقاب
فلعلكم تجدون في صفحاته ماقلتهُ وتثمنون خطابي[xxiv]

❁❁❁

المبحث الخامس

السلام الذبيح

لقد تضمنت صورة شهداء الأقصى سخريةً مرة وهجاءً مقذعا لما يسمى بالسلام أو سلام الذل والانقياد ، ذلك السلام الذبيح الذيُ ينحر صباح مساء ، ولا يحرك ساكناً في نخوة عُشاق السلام. يقول الشاعر عبد الغنى التميمى في قصيدته الطويلة " أقولها صريحة " :

أقولها صريحة
إن السلام دربه الخنادق
والهول والآلام لا الفنادق
الموت يحيى روحه والسيف لا الوثائق
إن الجهاد عزة وهيبة تثبتها الحقائق
لا يُبطل الجهاد إلا مارق منافق
أقولها صريحة
ليس السلام أن تكون إمعة
فكل خانع مصفق تُرى معه
منحنيا لكل ياقة وقبعة
نأبى السلام صفحة بذلِّنا موقعة
نأباه ذلة على جميع شعبنا موزعة
إن السلام واقع تفرضه مدرعه
فلن يشيد موطناً على الهدى من ضيعه
ما أقبح السلام مُهدِراً لحقِّنا وأبشعه[xxv]

أما الشاعر جودت أبو بكر فيتهكم ساخراً بحرارة من ذلك السلام الذي يتغنى به الخانعون الذين تغافلوا عن اغتيال براءة الطفولة وتناسوا الأرض والعرض ، ودماء الشهداء التي تسيل أنهاراً ووثقوا وعود وعهود اليهود يقول :

يوم داسوا طفولة وجدودا
وتناسوا دماءنا والشهيدا
يوم عافوا أسنة وجهادا
ثم صاروا إلى اليهود عبيدا
ردد الفتح في القلوب انهمارا
إنه السلم يلعن التهويدا
يوم قالوا " بسلمهم سوف نحيا "
ردد السلم إنني لن أعودا
يوم ظنوا بقبلة أو عناقٍ
قد تآخوا ولن أكون شريدا
ولنا القدس فيضُ وعدٍ وثيقٍ
من يهود ولن يكونوا يهودا ؟!
أسرج القلب نبضه ثم نادى
"إنما يقرع الحديدُ الحديدا"[xxvi]

أما الدكتور عبد الكريم المشهداني فيقول "أما نحن فلن ننسى " :

صبوا المدادَ وأحكموا الصلحا وكلوا عليه الخبز والملحا
صلحٌ حواشيه تسيل دما سفحاً على الأوراق أو نضحا
سموه ما شئتم : مهادنة أو مغنما سموه أو فتحا
قلتم : وننسى كل ما اقترفت أيدى الجناة ونقبل النصحا
ننسى الجراح وكلما خمدت أشعلتم في قلبنا جرحا
ننسى المحاريب التي نسفت وفلحتم ساحاتها فلحا؟
ننسى؟! وما ننسى؟! مخدرة ملتم على أوداجها ذبحا؟
والأمهات يدرن من وَلَه تجري دما أكبادها القرحى
كلا وألف مثلها أبدا حتى نرد وجوهكم كلحا[xxvii]

وإذا كانت السخرية والمرارة تغلف صورة السلام الذبيح فإنها لا تقبل ولا ترضى أو تسلم بالأمر الواقع كما سلم به الخانعون، ولكنها تصمد وتتحدى وتتوعد فنرى الشاعر "محمد سليمان" يخاطب أعداء الأمة الإسلامية قائلا :

أعداءنا .
يوما ستزحف من وراء الأفق
آلاف الخيول
تعدو عليكم بالسيول
لا تعرف الخوف المشين
كلا ولا "ضبط النفوس"
ولا السلام المستكين
بصهيلها العذب تقول :
لبيك يا قدساه يا مسرى الرسول
لبيك يا أقصاه يا مسرى الحبيب
أعداءنا
لا لن تهون دماؤنا
لا لن تهون[xxviii]

وتجمع الأشعار على رفضها لذلك السلام المزعوم الذي يروج له تجار الكلام، إذ يقول الشاعر في قصة القدس :

قصة القدس التي تروى حزينة
قصة القدس دماء وجراح
وكرامات طعينة
ليست القدس شعاراً عربياً كى نخونه
لا ولا القدس يتامى، وطحينا ومعونه

إنها القدس حسبى أنها أخت المدينه
قصة القدس طويله
مسرحيات، وأفلام، وأقلام قتيله
وكتاب من نزوح كتب الظلم فصوله
وذروني أُجمل القصة في هذا المقام
قام قصاص ووعاظ وتجار الكلام
بشرونا بسلام ونظام عالمى لا يضام
هكذا يزعم أقطاب النظام
يالقومي
منحة السلم عصا، طبخة السلم حصى
هل سنطهو من حصى السلم الطعام؟
يا بنى قومى اسمعوها
صرخة منى تدوى في الأنام
عن قريب
عن قريب تلد الأجواء إعصار السلام
وعلينا وعليكم...وعلى الدنيا السلام[xxix]

ويطالب الدكتور عبد الرحمن بارود جوقة السلم بالكف عن تلك المزاعم التي لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا يحصد من ورائها إلا الخيبة والضياع يقول :

كفاك يا جوقة السلم الذي زعموا — بُحَّت حناجركم فلترحموا الوترا
تجرون خلف بنى صهيون في لهف — وشعبكم ببنى صهيون قد كفرا
ماذا سيعطيكم التلمود ويلكمو؟ — ماذا تبيعون إلا السَمَّ والحذرا
يعطونكم جزرا في البحر غا رقة — إن سُمِّيتْ مزق من لَحمِكُم جُزَر
أشقى البرية أعمى القلب ياولدي — من شل منه اليهود السمع والبصرا[xxx]

أما الشاعر مبارك عبد الله المحيميد، فيستنكر ويستهجن كلمة سلم مع احتلال القدس وقتل وتشريد أهلها، فأى سلم واليهود يعربدون ، والاطفال يقتلون، والنساء يستحيون، والرجال يذبحون والدور يهدمون فيقول :

أى سلم والقدس أمست جحوراً وبنو قينقاع جاست غرورا
أى سلم والقدس من حوله الأن ياب حمراء كشرت تكشيرا
أى سلم والطفل كالعهن يفريـ ـه اليهوديُّ ضاحكاً مسرورا
أى سلم سلامهم حينما الجر اف يعوي وسط القرى مسعورا

خافقي خافق الشوق يا أقـ صى وفي صدره غدا مأسورا
يرمق الواقفين في حائط المبـ كى يهزون في الصلاة الظهورا
قائم تحته خنافسه السو داء مصطفة تفوح شـرورا
ويرى في العراء أماً وأطفا لاً كزغب القطا وشيخاً وقورا
خرجوا مكرهين والبيت أنقا ض ومن حولهم يرى خنزيرا[xxxi]

ويعلن الدكتور صابر عبد الدايم عن النهاية التي يجب أن تكون ليسدل ستار تلك المسرحية الهزلية معلناً الرحيل والنهاية لذلك السلام السراب ، يقول :

صعوداً إلى سدرة المنتهى فإن السلام السراب انتهى!!
وصهيون يسرق تاريخنا ويقتل فينا رؤى عشتها
نهرول ..نعدو..إلى غاصب يرانا دُمى..أدمنت صمتها
"أخي جاوز الظالمون المدى" وإن السلام الذبيح انتهى!
فأطلق خيولك من أسرها وانقذ مرابع...شيدتها
وجرد حسامك من غمده لتحي أرضاً محوا سمتها[xxxii]

۞۞۞

المبحث السادس
بطولة الطفولة

التقط شعراء الأدب الإسلامي صوراً متعددةً من الحياة الفلسطينية في المعرض الشعري للشهداء، لم يغفلوا فيها عن الأرض أو الوطن وأهله كباراً كانوا أم صغاراً. وفي هذا الجزء أعرض لمشهد أطفال الحجارة الذي تناوله الشعراء بصورة معبرة تنبض بقوة العاطفة وحرارة الوجدان وصدق المعايشة وعظم المعاناة والمأساة. مأساة أمة يتضاءل فيها الكبار ويعظم فيها الصغار، بل يجبن فيها الرجال ويستأسد فيها الأطفال.

يقول الشاعر المبدع الأستاذ الدكتور جابر قميحة :

وأنادى الأطفال في ساحة الهول أيا أيها الصغار الكبارُ
يا صغار الخليل والمسجد الأقـ صى ونابلس أنتمو الكُرارُ
أنتمو اليوم بالجهاد كبار بوركت كفكم بها الأحجارُ
هى للهدم والبناء أساس وندها النيران والأنوارُ
من ثنايا الآلام جئتم نذيراً من صداه قد زلزل الأشرارُ
من ضياء المحراب جئتم بشيراً سوف يتلوه فجرنا المعطارُ
وتعود الطيور للروض نشوى وتعود الديار والأمصارُ[xxxiii]

وفي قصيدة أخرى، ولوحة تعبيرية مؤثرة يصور فيها الشاعر شجاعة هؤلاء الأطفال في مواجهة الموت والأخطار وصدق عزمهم وبسالتهم التي يرتعد منها اليهود ، ولأنهم يسيرون في طريق الحق ويحملون لواء الإيمان فعين الله تحرسهم ، وما طفل هو الرامي بل الرامي هو الله. يقول :

هناك رأيته طفلاً
تشع النور عيناه
يثور بكفه حجر
سعير الثأر لظَّاه
يهاب يهود لسعته
وترعبهم شظاياه

يكبِّرحين يرميه
وجند يهود مرماه
فيا عجبا لهذا الطفل
كالصاروخ يمناه
تسوق الموت في حجر
يمزق من تحداه
ويرمي حينما يبغي
كأن الحرب مهواه
وما طفل هو الرامي
بل الرامي هو الله !!
وياعجبا لهذا الطفل
ما جرح بعائقه
ولا التعذيب بكَّاه
ولا سجن يروعه
ولا التشريد يغشاه !! .

ويتمنى الشاعر في النهاية على الرغم من كبر سنه أن ينضوى تحت لوائهم ليشاركهم قتل اليهود ولو بالحجارة ، فإذا ما قُتل واستشهد وتمزقت أشلاؤه فيطلب منهم الصلاة عليه ، وإذا ما تعذر الحجر فليستخدموا عظامه يضربوا بها وجوه اليهود وليسيروا في طريقهم حتى يتحقق لهم النصر الذي وعدهم الله إياه، وليكن موعدهم جميعا جنة الله التي وعدها المتقين الصابرين المجاهدين. يقول :

أيا أطفال...يا أملا
وأنتم قوة جاه
خذوني أنضوي معكم
بدرب قد عشقناه
فأرمي مثلما ترمون

صخراً قد شحذناه
ومن لهب سقيناه
وبالإصرار سُقناه
فإما يهوي في الميدان
جسمي البغيُ أرداه
ومزقه لأشلاء
فصلّوا فوق أشلاهُ
وخلّوا أعظمى حجرا
بوجه قد لعناه
وسيروا في طريقكمُ
فعين الله ترعاه
فهذا النصر مؤتلق
وأنتم بعض بشراه
وواعدنا هو الله
وموعدنا هو الله[xxxiv] !! .

لقد حلق الشعراء في تصويرهم ورثائهم للشهداء بأفكار متعددة، كما رأينا – بينت بعضاً منها فيما سبق ، كصورة الوطن، والقضية الفلسطينية، والسلام الذبيح، وشحذ الهمم والعزائم والتبشير بإنقشاع الغمة مهما طال الزمن بالملمة وتحقيق النصر وذلك لا يكون إلا بصدق العزيمة وقوة الإيمان والجهاد في سبيل الله – وأفاضوا في تصوير بطولة الطفولة التي لم تعش أيامها كبقية أطفال العالم ولكنها حملت هم الوطن بأمانة وإخلاص وتضحية وفداء منقطع النظير، لم يرهبهم – رغم حداثة سنهم – عسف وبطش من سجن وتعذيب وقتل، وواجهوا ارهاب اليهود ومن يساندهم بأعتى الآلات والأسلحة بصدور عارية ولكنها صلبة بالإيمان، بأجسام نحيلة ولكنها عملاقة بتطلعها للجنان لأنها عامرة بفداء الأوطان.

يقول العشماوى :

طال انتظار صغاركم فتحركوا لما رأوا أن الكبار توقفوا
وتلفتوا نحو السلاح فما رأوا إلا الحصى من حولهم تتلهفُ
عزفوا بها لحن البطولة والحصى في كف من يأبى المذلة تعزفُ
بينى وبين حصى بلادي موعد ما كان يعرفه العدو المرجف
يتعوذ الرشاش من طلقاتها ويفر منها المستبد الأجوف
لغة الحجارة يا أبي، رسمت لنا وعد الإباء ووعدها لايخلف[xxxv]

أما الشاعرة زينب حبش فتحكي بألم وحسرة عن مأساة الدم الفلسطيني المهدر، ولكنها تصمد وتتحدى وتفخر بأطفال الحجارة الذين رفضوا ما قبله الكبار، ولذلك فالأحلام تكبر وستتحقق لأنها ترفع شعار الله أكبر . الله أكبر ... الذي يطرز من ظلام الليل والأحزان أغنية النهار.

تقول:

تقف المجازر
بين أحلامي وآمالي الكبيرة
وأرى دماء القلب
في "صبرا"
تناجى الدمع
في عيني شاتيلا
لا بأس
ليست هذه الأولى
ولن تبقى الأخيرة
أحلامنا كبرت مع المأساة
والمأساة تكبر
ودماؤنا تغزو الفضاء

تعرج
ترسل المطر المقدس
فوق أحضان الحقول
في بلاد العم سام
دمنا الزكي
يصير مشروباً لذيذاً
فوق مائدة السلام
أحلامنا كبرت مع المأساة
والمأساة تكبر
لكن أطفال الحجارة يرفضون
ويرفضون ويرفضون
لكن أبطال الحجارة
يغلبون الدور
يمحون المقدر بالدماء
"جالوت" عاد إلى الحياة
وعاد "داودُ" الصغير
لكن بألقاب جديدة
" جالوت" لا تفرح كثيراً
فالطفل أحمد
سوف يفقأ عينكَ الأخرى
بمقلاع صغير
وأخوه أسعدُ
سوف يرفع العلم المرفرف في السماء
والطفلة السمراء تحرير
ستلعب في شوارِعِنا السعيدة[xxxvi]

أما الشاعر منير محمد خلف فيصور مشهداً من مشاهد الحياة الفلسطينية الموصولة بالكفاح
المؤمل فى الفلاح ، على يد تلك البراعم النضرة التى لم تأخذ حقها فى الحياة ، ولكنها أيقظت الدنيا بجراحها ودمها الغالى ، وطوبى لمن لم تغره الحياة ، فكانت بدايته الشهادة وكانت بدايته الولادة. فيقول :

يا أيها الغالى..
ويا عطش الطفولة للطفولة
يا أناشيد الصباح
على شفاه الأقحوان
يا من ملأت حياتنا فرحا وفاكهة
وأعلن أن حصته من الدنيا
كفاح حافل بالكبرياء وبالكفاح
يا من صعدت إلي الفلاح
يا من زرعت محبة الأوطان في دمنا
وغنى...
ثم راح..!
الآن ندرك
أن حبك صار مملكة
نسوِّرُها بأيدينا
ونحرسها بنار من مآقينا
ونعلن أن حبك صار فينا
يوقظ الدنيا
ويقعدها على صخر الجراح
الآن ندرك

أن نشوة جرحك العاتى
صلاة في تقاويم العبادة
طوبى لمن
كانت بدايته الشهادة
طوبى لمن
كانت بدايته الولادة[xxxvii]

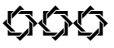

المبحث السابع

صور من معاناة المرأة الفلسطينية فى شعر شهداء الأقصى

احتلت المرأة في المشهد الشعرى للشهداء عند شعراء الأدب الإسلامي مكاناً بارزاً وحيزاً كبيراً، ولم لا وهي الأم ، والزوجة الأرملة ، والأبنة أو الشهيدة نفسها ، وهى فى كل الأحوال تعاني وتتعذب ولكنها تصبر وتصمد وتتحمل.

ومن بحار الصمت تخرج أشعار شعراء الأدب الإسلامي تجأر وتزأر، وبأنين الجراح تكتب وترسم وتشهد المأساة، مأساة أمة تبيع أبناءها وتهتك عرضها وتسيل دماءها، أمة ركبها الخناس وتبلد ومات فيها الإحساس وصدق عليها وصف الشاعر حينما قال :

الصامتون ....الغافلون ....الكاذبون
صمتوا جميعا
والرصاص الآن يخترق العيون...
وإذا سألت سمعتهم يتصايحون
هذا الزمان زمانهم
في كل شيئ فى الورى يتحكمون
لا تسرعوا في موكب البيع الرخيص فإنكم
في كل شيء خاسرون...
لن يترك الطوفان شيئا كلكم
في اليم يوماً غارقون...
تجرون خلف الموتِ
والنخاس يجري خلفكم...
وغداً بأسواق النخاسة تعرضون...
لن يرحم التاريخ يوماً...
من يفرط أو يخون[xxxviii]

وما لا شك فيه أن هموم الأمة وهوانها يرصد وجوهاً دلاليةً من خلال صور مرئية ضمن منظومة جمالية تشف عن قيم مضمونية وفنية راقية تستدرج القارئ إلى دروب النصوص لسبر أغوارها وكشف أبعادها وكأنها تضئ له قناديلاً على قارعة الزمن ليبصر طريقه حيث تنزف القصائد بكل ما تحب وتكره في رحلة سفر شعرية تحلق فيها وتبدع في معاني حنين الشوق وأنين الفراق ولوعة البين وألم الرحيل ومرارة الموت.

وأول ما يطالعنا في ذلك المشهد الشعري صورة الأم اللهيفة الصابرة حيث يرسل لها الشاعر بطاقه تهنئة بعرس الشهادة قائلاً :

يا "أم محمود" الصبورة ثابرى رُشى الحبيب مع العطور ورودا
وتقبلى سيل التهاني واهنأى حضر العريس فأطلقى الزغرودا
أزف الرحيلُ إلى العروس تزُفْهُ والغار فوق جبينه يبرودا
لا تألمي بالله يوم فراقه ترك الدُّنا فمصيرنا محدودا
بُشراكِ دارُ الخالدين مقرُّهُ جناتُ عدن باركت "محمودا"
فهناك حور العين حين تهيأت طرفُ الحِسان بدا لهن سعيدا
في صحبة الأبرار ينهلُ كوثرا ً من حوض"أحمد"بل ينالُ مزيدا
ياخالتي "محمودُ" ليس كمثله كا لليث رغم يفاعه جلمودا
أغدقت من لبن السباع بجوفه أرضعت شبلك منذ حل وليدا[xxxix]

وقد كان الشاعر عبد الرحمن العشماوي من أكثر شعراء الأدب الإسلامي الذين عبروا ونسجوا خيوطا عدة ووجوها شتى للمرأة الفلسطينية الصابرة، الملتاعة الكسيرة في عدة لوحات تعبيرية تظهر روعة الفن وقمة الإبداع لدى الشاعر وها هو يلتقط صورة أخرى للأم التى ألجمها هول المصيبة وأذكى مصابها جنون الألم القاسى قائلاً :

يا يد الأم التي تلتف حول الطفل
مقتولا...

وتبكى...
ألجمتها شدة الهول فما تسطيع
تحكى...
وجهها لوحة آلام وتعبيرات ضنك...
أنت يا أم البطل
لملمي حزنك هذا وافتحي باب الأمل
نحن لا نملك تأخير الأجل
ليت لي طَوْلاً...
لكى أمسح هذا الحزن عنك..[xl]

وفي لوحة تعبيرية أخرى يسيطر عليها صدق التجربة وعمق المعاناة وضراوة المأساة في سخرية مرّة ممزوجة بأسلوب تصويري مبدع يعبر عن عظم معاناة المرأة الفلسطينية قائلا :

ما أنتِ إلا مثلٌ من شعبكِ المرحّل
مدى يديك ...اطلبي لا تخجلي
فربما وجدت كفناً لزوجك المجندل
وربما وجدت كسرة من خبزك المفضل
وربما وجدت رقعة لثوبك المهلهل
وربما وجدت أثراً من بيتك المزلزل
لاتقلقي من رؤية الطائرة المحلقة
وثورة القنبلة المحرقة

تسولى يا أختنا تسولى
لا بأس أن يموت طفلك الصغير
وأن يموت جده الكبير

وأن يئن قلبك الكسير
وأن تشب في دياركم السعير
لابأس أن تضربكم طائرة تغير
قائدها يمسك علبة عصير[xli]

وبريشته المرهفة يرسم لوحة أخرى تعبر عن انتمائه وتعكس هموم الأمة الإسلامية في صورة فنية تعد مكاشفة لحشد من التفاصيل الدقيقة لصورة المرأة الفلسطينية الشجاعة والتى قدم لها بقوله: لم يكن أمامي حينما رأيت صورة أولئك النساء المجاهدات الصابرات يواجهن صلف العدو الصهيوني الظالم الغاشم حماية لفلذات أكبادهن، وشباب فلسطين من سطوات العدو المتكرر، على بيوتهم ومزارعهم ومساجدهم، لم يكن أمامي إلا قلمى الحزين ووهج مشاعري الملتهب وورقة باكية حزينة سطرت عليها ما جاشت به نفسي في تلك اللحظة الدامية الحزينة، فقال:

حي النساء فقد مسحن العارا وهطلن غيث بطولة مدرارا
حي النساء وقفن رمز بطولة وغدون في ليل الخضوع منارا
لما رأين المعتدين تجاوزوا كل الحدود وحطموا الأسوارا
ورأين سيف الغدر يحصد جهرة أبناءهن ويمسح الآثارا
ورأين أنصاف الرجال توقفوا فخيولهم لا تعرف المضمارا
ورأين أمتهن تفتح بابها للغاصبين وتخفض الأبصارا
ورأين صمتا عالمياً قاتلاً خذل الضعيف، وأيد الأشرارا
لما رأين اللص يقتل آمنا ويخيف أرملة، ويهدم دارا
أسرجن من خيل الشموخ أعزها وضربن من دون العدو حصارا
ماسرن سير المستكين وإنما سير الأبي يواجه الأخطارا
يحمين أشبال العقيدة حينما فتح العدو على البيوت النارا
طيرن فى الآفاق صقر كرامة من بعد أن غذَّينه الإصرارا

واجهن طاغية الزمان بهمة وملأن غزة عِزة وفخارا
متحجبات سرن فى ألق الضحى فغدون في وضح النهار نهارا
جاوزن حد المستحيل فصرن فى باب الشموخ لغيرهن منارا
فأضأن في ليل التخاذل شمعة وفتحن نحو المكرمات مسارا[xlii]

وتبرز صورة أخرى للأم التي ترحل في صمت بعيدا عن ابنها الذي شرده الطغيان شأن الأحرار الأمجاد فى كل مكان ثمناً للحرية والحق فى كل زمان، فيرسل لها رسائل من غربته أو منفاه يعبر فيها عن لوعته تجاه أمه الراحلة قائلاً :

أكذا رحلت أمي؟!
أكذا حُرِمت عينى الظمأى رؤية أمي ؟!
هلا انتظرت عودة غريب؟!!
يرجع يوما للأوطان،
يبكى،
يسأل،
ينتظر الركبان؟!
منذ سنين عشر،
وأنا أعد النفس،
أمني الروح، برؤية أمى!!
طرفة عين قبل الموت!!
منذ سنين عشر
وأنا أحلم بالأوطان
لتراك عيونى الظمأى،
ويقر قلبي الحيران!!
شُردنا من أجل الله !
ومع الأمل بنصر الله،

كل صباح ومساء انتظر العودة،
فيه إليك، إلى أغلى أحضان!
يوم سمعت النبأ الهائل،
خرقَ الدمعُ جوانحَ روحى !!
صار الكون ظلاماً!
صار العالم نعشاً!
وأنا وحدي
ابكي الغربة، أبتلع الأحزان!![xliii]

وهكذا تعيش المرأة الفلسطنة العذاب في ليال حالكة، نسيت أنجمها معنى الطلوع، فهى تعانى القهر والظلم والطغيان وحرمان الأهل والولدان والخلان يقول الشاعر :

لا تسل عن واحة الصمت التى ضاقت التربة فيها بالجذوع
يا لها من ليلة حالكة نسيت أنجمها معنى الطلوع
رسم القصف لها خارطة بعد أن مر من الليل هزيع
كانت الأسرة في منزلها ترقب الفجر وفي الأحشاء جوع
طفلة منذ شهور ولدت بين جدران مشت فيها الصدوع
أمها تنتظر الزوج على شاطئ الذكرى بأحلام الرجوع
ترضع الطفلة من ثدى الأسى في مساء فاقد معنى الهجوع
أغلقت بابا على مزلاجه بصمة دلت على الجرم الفظيع
غارة، وانكشفت من وردة كان من أشلائها المسك يَضُوع[xliv]

وفي لوحة أخرى تثور فيها الأحزان وتئن فيها الحروف وتنوح فيها السطور على صورة مشهد آخر من مشاهد المرأة الفلسطينية على مسرح الحياة وهو مشهد أرملة الشهيد وما وتبثه من آلام وأحزان ولواعج قلب حين تهدهد طفلها ولسان حالها يقول :

آه من حُرقةٍ بصدرى استشاطت وتمادت كما تمادى الحريقُ
يتعالى لهيبها في فـؤاد يتلظى زَفِيْرُهُ والشهيقُ[xlv]

فتبدأ في سرد قصتها على وليدها في مهده لعله يستوعب درس الحياة القاسي الذي حرمه من أبيه متمنية أن تراه فتياً موفور الشباب يحقق لها حلمها بعد سنين طوال من الأنين والعذاب في أن يثأر لأبيه من دم الجاني لما اقترفته يداه من عسف وبطش وطغيان، من ذلك المشتهى سفك الدماء على ثرى رواده حول فيه الغد المشرق إلى عذاب وأهوال ونار وظلمات وحديد. فتقول :

نم يا صغيري إن هذا المهد يحرسه الرجاء
من مُقْلَةٍ سهرت لآلام تثور مع المساء
فأصوغها لحناً مقاطعه تأججُ في الدماء
أشد و بأغنينى الحزينة ثم يغلبنى البكاء
وأمد كفى للسماء لأستحث خطى السماء
نم..لاتشاركني المرارة والمحن
فلسوف أرضعك الجراح مع اللبن
حتى أنال على يديك مُنىً وهبتُ لها الحياة
يا من رأى الدنيا ولكن لم تر فيها أباه
ستمر أعوام طوال في الأنين وفي العذاب
وأراك ياولدي فوق الخطو موفور الشباب
تأوي إلى أم محطمة مغضنة الإهاب
وهناك تسألنى كثيراً عن أبيك ..وكيف غاب
هذا سؤال ياصغيري قد أُعد له الجواب
فلئن حييت فسوف أسرده عليك
أو متّ فانظر من يُسر به إليك
فإذا عرفت جريمة الجاني وما اقترفت يداه
فانثر على قبري وقبر أبيك شيئا من دماه
غدك الذي كنا نؤمل أن يصاغ من الورود

نسجوه من نار ومن ظلم تدجج بالحديد[xlvi]

وهكذا تغنى الشعراء في هذه الصورة المؤثرة، صورة المرأة الفلسطينية – أم الشهيد، زوجته – بأغاني شجية، باكية، ثائرة، أعلنوا فيها عن زمن الموت، الإندثار، الإنكسار والإنهيار ولكنها تحث على الثبات وتبرز آيات الصبر والصمود والعزم الذي لا يلين وتبشر وسط الظلمة الحالكة بميلاد فجر جديد.

سنون ...سنون
مضت يخنق الكفر فيك الضياء
فيا شوقا للقاء
ويا شوقا للبكاء
ويا شوقنا للفداء
نعد الخطى نحو سورك ياقدسُ
يحبسها الوهن حينا
ويغتالها الليل حينا
ولكننا قادمون
وإن طال دهرُ...ومرت سنون
فيا زمن الإنكسار
ويا زمن الوهن والإنهيار
فمهما يكن من دمار
ستورق أشجارنا
تبرعم أغصاننا بالنهار[xlvii]

❁❁❁

هذا وقد أطلت أحياناً فى استعراض الأشعار عن عمد وذلك هدف من أهداف البحث حيث وجدتني لا أستطيع قطع نبض الشاعر في صورته ، فتركت له العنان أحياناً ليُتحِفَ القارئ بدقة معناه وروعة مبناه ووقوة أسلوبه وبراعة تصويره مما يبرز

قدرته اللغوية ومهارته الإبداعية في التحليق في أجواء الخيال ودروبه، فضلاً عن صدق نبرته وقوة عاطفته ومعايشته وعمق نظرته. وبذلك تبرز صورة الشعر الإسلامي المعاصر، وصدق تجارب هذه الزمرة المخلصة من شعرائه، وتتأكد قدراتهم الفنية الراقية سواء كانوا مشهورين أو واعدين ،وهكذا نلمح هذا الأدب شامخا متربعا فوق أعلى قمة من قمم الأدب الراقى ، القادر على الصمود والثبات بل والتحدى والتفوق على غيره من الآداب. وعلينا أن نفخر كأمة مسلمة بهؤلاء الشعراء وما قدموه من إبداعات قيمة تحمل عبء الكلمة وأمانة المسؤولية أمام الله والأجيال والتاريخ .

وبعد تناول بعض العناصر المضمونية فيما سبق ، أبرز بعض الجوانب الفنية التى تميزت بها تلك الصورة ، يتضح فيها قيمة ذلك الأدب الإسلامى فى تناوله لصورة شهداء الأقصى وما حفل به من إبداع ملتزم يبين أن الأدب الحق لا ينافى الإسلام والحداثة والمعاصرة.

المبحث الثامن

التناص والرمز واستيحاء التراث

لقد عزف الشعراء الذين نعرض نتاجهم على قيثارة الوجدان واستلهموا التراث تاريخياً وإسلامياً في صورة رموزه العظماء مستثمرين ذلك استثماراً معنوياً مؤثراً، حيث ظهرت قدرة الشعراء وبراعتهم في ربط الأحداث بالرموز الخالدة وتوظيفها لصالح أغراضهم، فغرفوا من معين ثر من الرموز والشواهد العربية والإسلامية حتى غدت نصوصهم مكثفة الدلالات عميقة الايحاءات، سكبوها لوعة وأسى على صورة شهداء الأقصى، والأمة الإسلامية.

التناص[xlviii] مصطلح نقدي مولَّد مترجم عن المصطلح الإنجليزى Intertextualitey الذي يعنى عملية تداخل النصوص وتفاعلها وتأثير ذلك في إنتاج الدلالة، وعلى الرغم من أن هذا المصطلح يصف ظواهر نقدية تراثية في الأدب العربي تتمثل في التضمين والاقتباس والاحتذاء والسرقات الأدبية، إلا أنه يستند إلى أسس لغوية ومعرفية واجرائية جيدة وشاملة لكل أوجه التفاعلات النصية.

"ويعد الارتداد إلى الماضي واستحضاره من أكثر الظواهر فعالية في عملية الابداع، حيث يحدث نوع من التماس بين النص الحاضر والنص الغائب يؤدي إلى تشكيلات إبداعية تداخلية قد تميل إلى التماثل أو التخالف أو المناقضة".[xlix]

"وليس التناص مجرد اقتناص ساذج لألفاظ سابقة أو لواصق مقتبسات تجميلية تزين النص، بل إنه عملية اختراق مقصودة للبنية اللغوية القارة في الذهن، في شكل اشعاعات دلالية تجعل الماضي الجميل ينعكس على سطح الحاضر المشرق، إن شجرة نسب النصوص هى شبكة عنكبوتية من المقتطفات المستعارة شعورياً أو أولا شعورياً لخلق فضاء نصي متداخل متعدد الدلالة، ولذلك فإن الحضور الذهني المشترك بين اشارات النص التي يدركها المتلقي بعد أن يستدعيها المبدع هو الذي يقيم العلاقات وينتج الدلالات ويجعل النص بنية مفتوحة على الماضي وقارة في الحاضر وتتحرك نحو المستقبل ، وهذا يغير فكرة البنية المغلقة على الآنية".[l]

وحينما نستعرض صورة شهداء الأقصى فى الشعر الإسلامى المعاصر نجد أنها حفلت بالرموز ذات المدلول الإسلامى والتاريخى والحضارى العربى ، ولم يتأثر شعراء الأدب الإسلامى بالرموز الغربية التى تأثر بها شعراء الحداثة معتمدين عليها فى أشعارهم .

لقد كان تواصلهم مع الماضى واستلهامه واستيحائه معبراً عن وعيهم بتراثهم وارتباطهم بجذورهم . ولم يكن التناص عندهم استنساخا مشوهاً للنصوص الغائبة بل كان فى سياق من الجدة والمنافسة والتجاوز الدلالى " فحين ينبثق النص أو يتداخل أو يتعالق مع نصوص أخرى فإن هذا لا يعنى الاعتماد عليها أو محاكاتها ، بل إن التناص يتجسد من خلال المخالفة أو المعارضة أو التنافس مع نصوص أخرى ، وهذا يعنى أن التناص يتجسد من خلال صراع النص مع نصوص أخرى ".[ii]

ويتجلى استحضار التراث العربى عبر عصوره و رموزه المختلفة ووعى الشاعر الإسلامى به فى قول الشاعر الدكتور مأمون فريز جرار فى أغنيته فى زمن الانكسار :

أيا زمن الموت والاندثار
ويا زمن الانكسار
تمرس تاريخنا بالبلايا
ولكننا بعد كل انهيار
نشق الظلام ببركان نار
أتذكر يوم أسال الفرنجة فى حرم القدس أنهار دم
وطاف على شرفنا المبتلى غيوم الألم
وكانت سيوف بنى الشرق مغروزة فى القلوب
وداحس سابحة فى دمانا
وفى لحمنا ذكريات البسوس؟

ولكننا من رماد الهزيمة نصنع معراجنا
وفى أنهر الدم نغسل عصر الذنوب
ونغرق شمس الغروب
وفى حلكة الليل تولد أقمارنا
وينهض فجر جديد
نغنى لمجدك ياسيف زنكى
وإن غَالَه عبدُك القرمطى
ففى حلب كان ميعاد حلمك يقتله الأشقياء
ويحمل محمود ..... سيفك ينهض عبر
دمشق إلى باب مصر
يلبى النداء
يشقّ الطريق إلى حرم القدس يحسبُ من
دمنا ذكريات الهزيمة
يخط على المنبر الوعد
إنا إلى قدسنا قادمون
وإن طال دربٌ
فها منبرُ الوعد فى كل معركة يتقدم نحوك عمرا
ويولد فى الزمن الصعبِ .. يوسف ..
يولد فجر صلاح
لنا موعد فيك يا سهلَ حطين
يا عين جالوت ميعادنا يتجدد فى كل عصر
ويا سور عكا على قدميك تكسّرَ موج الغزاة
ويولدُ فجرك يا قدسُ .. يرحلُ ليلُ البغاة[liii]

وكما لاحظنا فقد أغنى الشاعر قصيدته بتمثل التراث العربى والإسلامى والتناص معه لغة وفكراً تاريخاً وأبطالاً ، أحداثاً وعبراً ، وذلك يعد فى حد ذاته نقلة فى وعى

الشاعر بالتراث وقدرته على توظيفه فنياً والاستعانة به جمالياً لإثراء الجملة الشعرية والصورة الفنية للقصيدة.

كما يظهر التناص أيضاً فى صورة شهداء الأقصى حينما يعارض الشاعر الإسلامى المعاصر ، الشاعر العربى القديم فى وزنه وقافيته مستلهماً بعض معانيه فى البطولة والاعتزاز بالنفس والشجاعة مع إخضاعها للتصور الإسلامى ، كما نجد عند الشاعر الإسلامى المعاصر حينما يعارض الشاعر العربي القديم ولاسيما معلقة عنترة بن شداد المشهورة في الحماسة التى بدأها بقوله :

هل غادر الشعراءُ من متردمِ أم هل عرفتَ الدارَ بعد توهم

يقول الشاعر على بن صالح العمرى فى قصيدته الرثائية لأحد الشهداء معارضاً عنترة في معلقته المشهورة:

هل غادر الشهداء فى عرس الدم أم هل رأيت الصدق بعد توهم؟!
هل سرك الإقدام فى زمن الونى أم هل شممت المسك من جسد الكمي؟!
أرأيت موكبهم وفى قسماتهم نور الخلود ونظرة المبتسم؟!
أقرأت فى صفحاتهم قصص الفدا تُحيى الكرامة فى السواد الأعظم؟!
أسمعت آيات اليقين ورجعها يطوى الأسى عن حاضر متجهم؟!!
عبد العزيز – أبا الوليد تحية يا صوت توحيد ونخوة مسلم
يا نهضة – يا صرخة علوية يا نور آمال – ونفحة مسلم

وإذا كان الشكل التعبيرى للشاعر الإسلامى المعاصر لم يخلُ من القالب العمودى القديم فى صورة المعارضة ، إلا أن هذه المعارضة تختلف وتتفاوت حسب رؤى الشعراء ، فكما رأينا فى المثال السابق أكثر الشاعر من معانى الاستعلاء والشجاعة والفخر وأبرز آيات البطولة والفداء فى رثائه، نجد شاعراً آخر وهو مصطفى محمد رزق السواحلى يبكى على حال الأقصى وأطلال القدس على لسان عنترة بن شداد ثم

ما يلبث أن يتفجر بركان الغضب فيه فيثأر لكرامته ويبشر بالغد المأمول الذى يتحرر فيه الأقصى قائلاً :

هل غادر الباكون من متندم أم هل عرفت القدس بعد المأتم
دار لأحزان العروبة مرة ومثابة الآهِ المريرة فى فمى
نامت على شفة اللهيب جراحها وصحت على جثث البواسل ترتمى
هى آهة البراء تغلى فوقها صرخات عرب واستغاثة مسلم
تغتال فى فمى البيان فانتهى فى نهر حزن ظل ينبع من دمى
بالأمس غنيت البطولة باسماً واليوم يغتال البكاء تبسمى
هلا سألت القدس يابنة يعرب إن كنت نائمة بليل مظلم
يخبرك من زار المدينة ليلة والقدس تغلى فوق حجر الأرقم
إن الذى حفروه بين ضلوعنا بركان حقد لليهود مكتم
سيكون قبر المعتدين ونارهم قبل التلوّى فى لهيب جهنم
سيعيد جيش النور فى علیائها الله أكبر محو عارى بلسمى
ونرى المدينة فى زفاف ربيعها والمسجد الأقصى طليق المعصم[liii]

ومما لا شك فيه أن " الشخصية التاريخية عندما تدخل فى إطار العمل الأدبى تصبح شخصية أخرى لها همومها التى تنبع من واقعها الفنى لا من الإطار التاريخى الذى انطلقت منه "[liv]

وإذا كان التناص فى النماذج السابقة يتنافس مع نصوص أخرى يخالفها ويعارضها ويتصارع معها ، لكن ذلك المفهوم يختلف قطعاً حينما يتداخل النص الشعرى مع النص القرآنى أو الحديثي ، فلا يمكن أن نتخيل حالة صراع أو منافسة أو معارضة وإنما هى حالة من الاقتداء والتأسى بالنص القرآنى المقدس المعجز وبالنص الحديثي الشريف. وواقع إبداع شعراء الأدب الإسلامى المعاصر يفصح عن هيمنة نص القرآن الكريم والحديث الشريف على قلوبهم ولغتهم وثقافتهم .

يقول الشاعر الدكتور عماد الدين خليل فى قصيدته الضوء فى العتمة .. إلى حماس[lv]

سامتنا واغتسلت بنا الآثام وتقطعت فى دورنا الأرحام
صرنا على صدأ يكاد حديدنا يبلى، وتذرو ريحه الأعوام
فى كل منعطف لنا أحدوثة وبكل حين نمتطى..ونضام
تتناوش الرمم الذئاب فكلما نفدت تطوع سيد مطعامُ
أمم تداعى والموائد جمة وعلى الموائد قصعة وطعام
خيراتنا نهب لكل شهية وبسوحنا تتصارع الأقوام!
كلٌ يحاول أن يفيء لراية ونضيع لا أرض ولا أعلامُ!

فالشاعر متأثر بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أو من قلة يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم : " حب الدنيا وكراهية الموت ".
ثم يواصل الشاعر فى قصيدته فيقول :

أمسينا لا هدف يحركنا ولا تهتز فى أرحامنا الأحلام
حتى شهدناها بليل ضياعنا فكأنها الحادى .. وعز مرام
ناران من غضب توقد جمرها وسعى بها الإيمان والإلهام
ناران فى القدس الحزين تفجرت فأضاء فى الآفاق ثَم ضرام
فاخلع نعالك أيها السارى فقد جل المقام ومُحّص الإسلام

حيث نرى الشاعر يستدعى تلك الآية الكريمة من سورة طه التى يقول فيها الله عز وجل (إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى) ، ليوظفها فى قصيدته، وهذه هى قدرة الشاعر المبدع الذى يربط بين أحداث الواقع والإشارات الخالدة فى كتابه عز وجل.

وهكذا رأينا أن استيحاء التراث و التواصل معه مضونياً مكوناً ضرورياً فى التجربة الفنية ، وذلك لأن " الحقيقة المجردة وحدها لا تكفى للتعبير عن تجربة الأديب ، ولا تفى بتصوير انفعالاته ورؤاه ، لذلك لابد من الاستعانة بكل التراث القديم و إحداث ما يسمى بالتحول الرمزى ، حتى يستطيع الأديب التعبير عن تجربته الخاصة ، يثرى به فكره الفنى ورؤيته الابداعية . وهنا لن تصبح أداته اللغوية اشارية تقريرية ذات بعد دلالى واحد ، وإنما سوف تصبح لغة مشخصة ، تجسد المعنى ، وتصور المدرك بأبعادها الخصبة"[lvi]

ونلحظ على التجربة الشعرية الإسلامية أنها أخلصت لروح التراث وإن تمردت أحياناً على أشكاله وقوالبه . وجمعت بين الأصالة والمعاصرة ، الأصالة لارتباطها بالتراث والهوية العربية الاسلامية فى اطار التصور الإسلامى . والمعاصرة لتعبيرها عن واقع معاش بما فيه من آلام وآمال .

۞۞۞

المبحث التاسع

الأشكال الفنية والتعبير بالصورة

تنوعت الصور الشعرية فيما سبق بين الشعر العمودى وشعر التفعيلة فلم تقتصر على نمط واحد ، ولكنها اختلفت وتعددت وتنوعت مما أثرى الصورة الشعرية لشهداء الأقصى . ليس ذلك فحسب ، ولكن النص الشعرى فى صورة شهداء الأقصى قد تداخل وتماهى مع الأشكال الفنية النثرية الأخرى كالقصة والرواية التى تعتمد كل منهما على اللقطة أو المشهد ، إلى جانب تأثر الصورة الفنية لشهداء الأقصى بفن الرسائل الأدبية مما أضفى جمالاً على شكل القصيدة المعتمد على تنمية الفكر والشعور .

وعناصر البناء القصصي و الروائى من شخصيات وزمان ومكان وحوار وحبكة ونهاية معروف لكل أديب ، لكن الجديد هو الامتزاج مع ذلك الفن النثرى فى البناء الشعرى للقصيدة ، وقد أحسن شعراء الأدب الإسلامى توظيف تلك التقنية الجديدة على القصيدة العربية ، حيث احتفظ النص الشعرى برونقه الايقاعى الموسيقى وبعاطفته الصادقة والفاظه المؤثرة ، فى اطار من التلاحم الإبداعى بين تلك العناصر وعناصر البناء القصصى ، واضرب بمثال على ذلك ، قصيدة إلى شيخ الشهداء للشاعر الدكتور حسن زواش التى يقول فيها :

رج البحور وهيج الأوزانا
خبر مع الفجر المهيب أتانا
وأضاء فى كبد السماء كشمسها
فسما عليها ، بصر العميانا
ياسين يا نبض النبى محمد
يا آية نزلت علينا الآنا
يا رحمة الرحمان فينا أشرقت
لما تماهت بيننا قرآنا

لما رأيتك فى السماء معرجا
وسمعت قلبك يعرف الإيمانا
ثار اليقين على الظنون بمهجتى
وأزال ضوء صفائه الأحزانا
وتزاحمت فى أبحرى أوجاعها
فتفجرت فى أدمعى الحانا
لم يقتلوك فأنت روح بيننا
وهى الشهادة تبعث الإنسانا
اصعد سحابا وانهمر مثل الندى
من فوق زرع شرف الأوطانا
اللون لونك فى النبات وزهرة
صبّغ البيوت وزيّن البستانا
اصعد فربك قد حباك محبة
ومكانة ووسيلة برهانا[lvii]

والقصيدة على الرغم من قصرها إلا أنها تبرز قدرة الشاعر على وصل العناصر والحلقات مع بعضها البعض ، حيث استطاع الشاعر أن يهيئ القارئ لسماع حكايته عن الشيخ ياسين ، فبدأ برسم صورة خارجية تساعد على الإحساس بعمق المأساة والكارثة والفجيعة باستشهاد الشيخ ياسين ، حيث كانت تلك الصورة التى رسمها الشاعر لإضطراب البحور ، وعبر عنها بقوله رج البحور ، ثم قوله هيج الأحزانا ، والمقصود أوزان البحور الشعرية ، نظراً لعظم المصاب الذى حل بالأمة الإسلامية. ثم الزمان فى القصيدة وهو وقت الفجر الذى علم فيه بالخبر الفاجع ، أما المكان فهو أرض فلسطين والبطل والشخصية المحورية ، الشيخ ياسين ، الذى رسم له الشاعر عدة ملامح تساعد على بيان قيمة تلك الشخصية مثل ، وجهه المضئ كالشمس دلالة الإيمان وقوة العقيدة ، ليس ذلك فحسب بل أضاف له صفات أخرى تعضد من مكانته

وتبرز فضله ، فهو نبض النبى محمد صلى الله عليه وسلم لأنه حى بسنته بيننا صلى الله عليه وسلم ، ولأنه كان يسير فى حياته بمنهج القرآن فهو رحمة من الرحمن ولذلك كانت نهايته ونهاية اللوحة التى رسمها لتلك الشخصية فى مشهده الأخير ، هى لحظة الاستشهاد وصعوده مكرما إلى رب العالمين. وإذا كانت القصيدة فى صورة الرثاء إلا أنها حفلت بكثير من القيم الإبداعية الشكلية فى استخدام الألفاظ وبراعة الخيال فى لوحات تعبيرية مؤثرة تحسن توظيف الحركة والصوت واللون مما ساعد على ابراز عناصر البناء القصصي.

فضلاًعن أنها من الناحية المضمونية رسمت صورة مميزة للبطل الشهيد ، الرمز القائد فقد كان آية فى الإيمان وقوة العزيمة وتربية النفوس والتضحية ، كما كان آية حتى فى لحظة استشهاده ، يُذكّر بها الله ﷻ الأمة علها تفيق من غفوتها.

أما النموذج الثانى الذى يبرز مزج شعراء الأدب الإسلامى بين الأنواع الأدبية ، فهو أسلوب الرسائل فى صورة شهداء الأقصى.

والرسالة كما هو معروف فن أدبى مستقل بذاته له أهميته الخاصة وعالمه الواسع ، وقد استعارت القصيدة الإسلامية المعاصرة من الرسالة أسلوبها ، واعتمدت على بعض التقنيات الخاصة بها ، ففى رسالة الشاعر محمد عبد الرازق أبو مصطفى التى يوجهها عبر قصيدته إلى روح الشهيد القائد الشيخ صلاح شحادة ، التى وسمها بقوله" كيف ارتحلت .. مسافراً ! "[lviii] :

كيف ارتحلت بخطفة الضوء
المعبق بالزهور وبالعطور
كيف ارتحلت وطاوعتك عيونك
الولهى على درب الرحيل
من قبل طرد الغاصبين
ينكسون رؤوسهم مر العصور
كيف ارتحلت على جناح
الصمت يخفق هائما

فى هدأة الليل الطويل
كيف ارتحلت مسافرا
ومسبحا بين الجموع من
الملائكة الكرام تزف وجهك
فى أزاهير السماء
كيف امتزجت بكل هدأة
ليلك الوقاد فى عمق
اصطخاب الضوء والمسك
المبعثر فى انبثاقات الجراح
كيف ارتحلت ، وألف كيف
بعدها تأتى ولا نلقى الجواب
كيف ارتحلت ودمعة القلب
المشرد لا تزال طريدة
بين الحرائق والعذاب
كيف ارتحلت مسافراً!
هل تبتعد عنا ، وأنت
النبض يقرع كل كل قلب
فالفجر من عينيك آت
والنصر آت – لا محالة – آت
فالسيف إن تأبى حميته
حياة الذل فى الأغماد
لا يخشى رماد الانكسار
قد كنت من قبل الرحيل
تشقّ كالليث المضرج
بالدماء رؤى الغبار

وسكنت فى أرواحنا
بعد الرحيل تشقّ
فجر الانتصار ...

والنص طويل ومضمون الرسالة يحمل فى جنباته كثيرا من الأسى والمرارة ، المتعلق بافتقاد القائد وبالوطن المسلوب ، ويسترسل الشاعر فى عرض رسالته المعبرة عن عمق المأساة وجرح المعاناة ، ويحاول أن يستخلص من المأساة نوراً يهتدى به ، وتنتهى الرسالة التى تحمل فى جنباتها مميزات الرسالة النثرية بعناصرها المعروفة من مقدمة ومضمون وخاتمة دون المساس بأساسيات القصيدة الشعرية من حيث الوزن.
فضلاً عن استخدام الشاعر لألفاظ تتناسب مع مكانة القائد المرثى ومكانته فى القلوب ، وأجمل ما يمكن أن يقرأ رسالة موجهة لإنسان تعترف له بالجميل بعد الرحيل.

وبعد فقد تميزت الصورة الشعرية لشهداء الأقصى برقى الألفاظ ورحابة المعجم الشعرى المميز لكل موضوع أو تجربة يكتبون فيها ، إلى جانب امتيازها بأشكال جديدة فضلاً عن احتفاظها بالطابع الموروث. وبذلك اتضحت قدرة الشعراء على الموازنة بين الأصالة والموروث ومواكبة روح العصر ، مع الاحتفاظ بالمستوى الفكرى والمضمونى الراقى المميز فى تجاربهم الشعرية.

المبحث العاشر

مأزق شعراء الحداثة

وبعد تلك الرحلة في سفر الشعر الإسلامى المعاصر وصورة شهداء الأقصى وما حفلت به من ابداعات ومضامين راقية تدل على قوة الإيمان وصدق العاطفة وبراعة الصياغة ، والقدرة على مواكبة العصر مع عدم الانسلاخ عن الجذور ، حيث الأصالة والهوية الإسلامية العربية ، فضلا عن جدة صورها وبراعة تصويرها ودقة ألفاظها وتنوع موسيقاها وإيقاعها ، وجمعها بين المذاهب الأدبية بما يتوافق مع أهدافها وعقيدتها . حيث حرارة العاطفة وصدق الشعور وقوة الانفعال وجمال الموسيقى وبراعة الخيال وذلك منزع رومانسى ، فضلا عن حسن اختيار المضمون والأفكار فى اطار من رصانة الألفاظ ومتانة الأساليب ومحاكاة بعض أساليب القدامى كالمعارضة والالتزام بالوزن والقافية الموحدة وذلك منزع كلاسيكى . وهى فى ذلك كله تعبر عن الواقع بلا خجل أو خوف بل تجهر وتزأر بالحقيقة المرة وتلك هى الواقعية الحقة . وهكذا فإن الأديب الحق لابد أن ينفتح على الآخر ويواكب عصره وعالمه فى اطار من الشرعية التى لا تلغى هويته وثقافته وحضارته . وذلك ما نجح فيه شعراء الأدب الإسلامى باقتدار مهما تكالبت عليهم تلك الآراء المغرضة التى لا تريد إلا وقف مسيرة النجاح فى التعبير عن هموم الأمة الإسلامية والإخلاص لها . وبذلك يتضح أن شعراء الأدب الإسلامى قد أوقعوا شعراء الحداثة وأدعياءها في مأزق لا يحسدون عليه، بعد أن كانوا يحيطون أنفسهم بهالات من القداسة تحت مسمى الوطنية والقومية ، لأنهم ببساطة شديدة لم يستطيعوا مواكبة هموم الأمة وأحزانها وأوجاعها على الحقيقة خوفاً على مكانتهم الأدبية . فنجد شاعرا مثل محمود درويش على علو مكانته الأدبية بما يمتلكه من قدرات ومواهب إبداعية إلا أنه أولاً: آثر الحداثة ومنهجها ورموزها وموروثاتها الغربية . ثانيا : صمته المريب ازاء فواجع الأمة الإسلامية فى قوادها وشهدائها .

فعن الشهداء لم يتكلم الشاعر الكبير محمود درويش إلا بعد فترة من الزمن عن الطفل الشهيد محمد الدرة مما يدل على عدم مواكبته للأحداث ، فضلاً عن أن تعبيره هذا جاء فى قصيدة دون مستوى القصائد الدرويشية. وأسمعه يقول :

أيها المارون بين الكلمات العابرة
منكم السيف – ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار – ومنا لحمنا
منكم دبابة أخرى – ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز – ومنا المطر
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا
وادخلوا حفل عشاء راقص – وانصرفوا
وعلينا ، نحن أن نحرس ورد الشهداء
وعلينا ، نحن ، أن نحيا كما نحن نشاء![lix]

تخلُو الأبيات من روح المقاومة والثورة أو حتى الغضب والرفض ، وتقترب من السذاجة والسطحية الممقوتة.

والمشهد الشعرى الذى يقدمه درويش عن الشهيد لا يتعدى صورتين:

الأولى : حيث الشهادة فعلاً اعتيادياً ، حيث يصبح الفلسطينى مشروع شهيد شاء أم أبى ، الآن أو غداً.

ولذلك نراه يقول :

الشهيدة بنت الشهيد
وأخت الشهيد وأخت الشهيدة كِنّة
أم الشهيد حفيدة جد الشهيد
وجارة عم الشهيد
ولا شئ يحدث فى العالم المتمدن
فالزمن البربري انتهى

والضحية مجهولة الاسم ، عادية
والضحية – مثل الحقيقة – نسبية

والثانية : سخريته من فلسفة الاستشهاد عند الإسلاميين حيث يقول :

الشهيد يوضح لى : لم أفتش وراء المدى
من عذارى الخلود ، فإنى أحب الحياة
على الأرض ، بين الصنوبر والتين
لكنى ما استطعت إليها سبيلا
ففتشت عنها بآخر ما أملك ، الدم فى جسد اللازورد
الشهيد يحذرنى : لا تصدق زغاريدهن
وصدق أبى حين ينظر فى صورتى باكياً[lx]

فأين موقع ما يطرحه درويش مما استعرضته فى ثنايا البحث من شذرات تمثل غيضاً من فيض الشعر الإسلامى المسؤول الذى يعرف دوره ومكانته فى الدفاع عن قيم الجهاد ومعانى المقاومة.

فواجبنا أن يكون أدبنا مظهراً لمشاعرنا الحقة ومعبراً عن يقظتنا. فالحداثة انقطاع معرفى لأن مصادرها المعرفية هى "اللغة البكر والفكر العلمانى وكون الإنسان مركز الوجود".[lxi]

أما الأدب الإسلامي ، فهو ليس مادة معرفية فحسب ، وإنما هو رؤية متميزة تمتزج وتتكامل فيها القيم الشعورية والفكرية والاجتماعية ، بحيث لا تصطدم مع العقيدة وما ينبثق عنها من قيم وأفكار.

نتائج الدراسة

لقد عالج مضمون هذا البحث بمنهجية بحثية أكاديمية، عدداً من الجوانب و القضايا المهمة، التي يمكن أن تُعد إجابات عن أسئلة هادفة تظهر أهمية ومكانة الأدب الإسلامي من خلال التركيز على صورة أو لقطة أو موضوع واحد من موضوعاته المتعددة، وتلك هي صورة من صور الشهداء . فى ذلك الخضم الشعري من سفر الإنسانية المؤمنة، فاتضحت عدة أمور من أهمها أنه:

١. يظهر دور الأدب الهادف الواعي بهموم ومشكلات أمته وقضاياها .
٢. يقدم للأجيال مشاهد حية لبطولات موسومة برايات العز والفخار ويجعل المسلمين في شتى بقاع الأرض يعايشون المعاني والأحداث والآلام .
٣. يحكي للإنسانية مسيرة أجيال مؤمنة مرابطة نحو مشارف الوطن السليب.
٤. ترصد عيونه أقمار أبنائه في الدروب المقدسية الذين سالت دماؤهم على أركانه من أجل التمسك بحقهم في الحياة .
٥. يبين أن الإبداع الحق لا ينافي الحداثة والمعاصرة والإسلام .
٦. يكشف عن أدب جديد ملتزم يقف بشموخ أمام أصحاب الدعوات الهدامة والأدعياء للإبداع الذين يستخدمون لغة منهارة بلاغياً لا تفجر المعنى كما يزعمون وإنما تغتال الإبداع وتغيبه وراء عبثية لا طائل من ورائها .
٧. يستحضر القيم الغائبة عن شباب المسلمين، تلك القيم التي تربى عليها المسلمون الأوائل في مدرسة محمد ﷺ .
٨. يثبت أن الأمة قادرة على قهر اعدائها بالكلمة، وأن سلاح الكلمة سلاح بتّار مؤثر فعَّال .
٩. يؤكد على أهمية الجهاد ومكانة الشهادة عندما يغتصب الوطن .
١٠. يثبت تحول القصائد من مجرد رثاء للشهداء إلى شحّذ للهمم، والثأر لهم واتخاذهم نبراساً يهديهم من أجل استرجاع الوطن السليب .

١١. يبرز أن العاطفة الصادقة هي محور ذلك الأدب وجوهره، حيث ابتعد الأدباء فيه عن تعمد المبالغة في التأنق اللفظي، وأختفت إشكالية الكتابة للعامة أوللنخبة، فصار الشهداء هم النخبة .

١٢. يجلي تحول الصورة في تلك الأعمال الإبداعية من الرمز إلى الإفصاح حيث أصبحت أكثر جرأة في التعبير عن رأيها وحقها .

١٣. يكشف عن خروج التجارب الشعرية من الذاتية إلى الموضوعية وبالتالي قدرتها على العبور للآخر بما تحمله من توازن ثنائية الأصالة والمعاصرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين اللهم آمين .

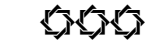

﴿ ثبت المصادر والمراجع ﴾

١. القاموس المحيط، مادة "الراء"
٢. http://www.islamic-council.com/mafahamuX/11/
٣. المرجع السابق
١. http://www.arabcorner.net/page/poetry .
٢. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد السادس – العدد الحادى والعشرون ١٤١٩ هـ صـ[٩]
٣. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الثانى – العدد الثامن ١٤١٦ هـ صـ[٢٨]
٤. للشاعر محمد عبد الرازق أبو مصطفى
٥. http://www.palestine-info.cc/arabic/poems/hamasion.htm
٦. . مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الثالث عشر ١٤١٧ هـ صـ[٤٢,٤١]
٧. مجلة الأدب الإسلامى العدد السادس والأربعون ١٤٢٦ هـ صـ[٨١]
٨. مجلة الأدب الإسلامى – العدد الرابع عشر ١٤١٧ هـ صـ[٤٩]
٩. بلد الظافرين / محسن عبد المعطى مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الثامن – العدد الحادى والثلاثون ١٤٢٢ هـ صـ[٨٠]
١٠. القدس الماضى والحاضر / عبد الفتاح الطاهر الخطيب – مجلة الأزهر ، رجب ١٤٢٢ هـ صـ[١١٩٠]
١١. يا قدس / عبد الرحمن العشماوى http://www.alshamsi.net.sh3r/ashmawee/poem2.html
١٢.. ديوان الشهيد محمد الدرة – الجزء الأول – صـ[٣٨]
١٣. صيحة القدس / د. محمد بدر مجدى- مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الثامن – العدد الثانى والثلاثون ١٤٢٣ هـ صـ[٢١]
١٤. الصغير الكبير / محمد التهامى http://www.arabicnadwah.com/arabpoets/kabeer.htm
١٥. احتفال الخمسين / محمد التهامى
١٦. أجنحة تغردها الحروف / محمود مفلح- http://www.palestine-info.info/arabic/poems/ajenha.htm
١٧. كلمات دامعة / أبو النصر التميمى – ديوان الشهيد محمد الدرة – الجزء الأول صـ[٤٠]

١٨. لا لن تهون دماؤنا / محمد سليمان
١٩. http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&task-view&id-8680&rectionid=1
٢٠. قصيدة ماء..... من بلاء الأنبياء – الشاعر / فاروق جويدة – جريدة الأهرام – ٢٨ يونيو ١٩٩٨
٢١. مجلة الأدب الإسلامى – السنة الثالثة – العدد الحادى عشر ١٤١٧ هـ صـ٩٩
٢٢. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الخامس – العدد التاسع عشر ١٤١٩ هـ صـ٦٥
٢٣. أنا ثالث البيتين / عبد الرحمن العشماوى http://www.adb1.com/alashmaoy1.htm
٢٤. الموقع الفلسطينى للإعلام
٢٥. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد السادس – العدد الحادى والعشرون ١٤١٩ هـ صـ٥٩
٢٦. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد الرابع – العدد الرابع عشر صـ١٣
٢٧. http://www.lahanonline.com/inde.php ?
٢٨. قصة القدس، د/عبد الغنى التميمي، المركز الفلسطيني للإعلام
٢٩. أطلق يدى، د/ عبد الرحمن بارود، المركز الفلسطيني للإعلام
i. مجلة البيان–السنة السابعة عشرة العدد ١٧٥–ربيع الأول ١٤٢٣هـ–مايو يونيه ٢٠٠٢م.ص٢٩. [xxxi]
٣٠. الشهيد، د/صابر عبد الدايم، مجلة الأزهر، ص : ١٣٦٩–١٣٧١، عدد شعبان ١٤٦٦هـ
٣١. الهابطون والصاعدون/ د/جابر قميحة http://www.adabasham.net/show.php?sid=7872
٣٢. الإسراء والأطفال والحجارة/ د/ جابر قميحة http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&id=9381+task=view+section
٣٣. لغة الحجارة/ عبد الرحمن العشماوى http://www.alshamni.net/sh3r/ashmawee/poem42.html
٣٤. الدم الفلسطيني/ زينب حبش http://www.maraya.net/P/pal/b7_1.htm
٣٥.. الشهيد/ منير محمد خلف http://www.adabasham.net/show.php?sid=6461

٣٦..
http://www.adab.com/modules.php?name=sh3er&dowhat=shqras&gid=76
٣٧.. بطاقة تهنئة بعرس الشهادة للشاعر العربي لبيد بن ربيعة الكنعانى
٣٨. http://www.palestine-info.cc/arabic/poems/abohamad/htm
٣٩.. السلاسل، عبد الرحمن العشماوى http://www.al-multaqa.com/palestine/poetry/chains.htm
٤٠. تسولي /عبدالرحمن العشماوى http://www.entifada.net/morharakat/morh_0001.htm
٤١. حي النساء، عبدالرحمن العشماوى http://www.awfaz.com/show/printer_1225.php
٤٢. رسائل غريب إلى أمه الراحلة للشاعر محمد حياتي، مجلة الأدب الإسلامي/المجلد الأول/العدد الثالث/محرم ١٤١٥ هـ/ص : ١٠١
٤٣. آه يا إيمان / عبدالرحمن العشماوى http:///www.alshamsi.net/sh3r/ashmawee/poem16.html
٤٤. كيف أمضى/ فواز اللعبون – مجلة الأدب الإسلامي / المجلد الأول / العدد الثالث / محرم ١٤١٥ هـ/ ص : ٩٥
٤٥.. أرملة الشهيد تهدهد طفلها http://www.fustat.com
٤٦. أغنية في زمن الانكسار/ شعر/ د. مأمون فريز جرار
٤٧. مجلة الأدب الإسلامي / السنة الثانية/ المجلد الثاني/العدد الثامن/ربيع الثاني ١٤١٦ هـ/ص: ٢٨
٤٨.. التناص مع القرآن الكريم في شعر رثاء الإمام الشهيد أحمد ياسين، ص : ٤٥
٤٩.. قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، د/محمد عبد المطلب، ص : ١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠
٥٠. ثقافة الأسئلة، P/ عبد الله الغذامي، ص: ١١٣، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٣
٥١. الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية : عبد الله الغذامي ط١ ، جدة ، النادى الأدبى الثقافى ، ١٩٨٥ ، صـ٣٢١
٥٢.. مجلة الأدب الإسلامى – السنة الثانية – المجلد الثانى – العدد الثامن – ربيع الثانى ١٤١٦ صـ٤٧

٥٣. مجلة الأدب الإسلامى – المجلد السادس – العدد الثانى والعشرون – ربيع الثانى ١٤٢٠ صـ٨٨
٥٤. التجربة والصورة فى شعر محمد أحمد العزب ، د. أمانى محمد عبد الفتاح ،
٥٥. .....كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية
٥٦. المركز الفلسطينى للإعلام http://www.palestine-info.cc
٥٧. جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه وادى ط أولى ، الشركة المصرية العالميةللنشر لونجمان ٢٠٠٠ القاهرة ، صـ٧٨ بتصرف
٥٨. http://www.islamonline.net lvii
٥٩. الموقع الفلسطينى للإعلام
٦٠. http://www.adbmqds.com
٦١. المرجع السابق بتصرف
٦٢. التغريب وأثره فى الشعر العربى الحديث – د. مصطفى هدارة–مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول العدد الثاني ص١٢.